صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

كانون أول

١٩٧٧

دمشق ـ ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

ومر عام

ومر عام من حياة المجلة ينهيه هذا العدد ، لم نكن فيه باليائسين القانطين فقد مر بأيامه وشهوره ونحن نزداد ايمانا بصدق رسالتنا ، يملأ قلوبنا الامل ويحدونا الرجاء في الكشف عن مواهب شبابنا ورصد الممتع الرائع من أدب رجالات الفكر في أمتنا العربية على امتداد أقطارها ٠

أجل مر عام نستطيع أن نقول بأننا سجلنا فيه نصرا للمجلة ورسالتها ٠ ألم نأخذ على أنفسنا لقاء الادباء العرب في كل قطر من أقطارهم ؟ لقد ملأت الثقة قلوبنا بعد اصدار عدد أدباء المملكة العربية السعودية ومرد هذه الثقة للرسائل العديدة التي بعث بها أخوتنا من كل بلد عربي يشيدون بهذا العمل مما يدفعنا لأن نستمر في هذه الطريق راضين عن أنفسنا واثقين من خطواتنا لا ينتابنا ملل أو وهن ٠

واذا كان لنا من أمل نعقده على العام القادم ، فاننا نسأل الله جلت قدرته على أن يمدنا بالعزم على اصدار أعداد أخرى خاصة بأقطار عربية نحن أشد ما نكون شوقا الى التعرف على أدبائها وشعرائها ٠

والله ولي التوفيق ٠

رئيس التحرير

د . أحمد محمد الحوفي

الغزالي بين مؤيديه ومعارضيه

١ ـ من أقوال أنصاره :

١ ـ شهد عبد الغافر اسماعيل الفارسي المعاصر له المتوفى سنة ٥٢٩ هـ بأن الامام الغزالي أمام أئمة أهل الدين ، ولم تر العيون مثله لسانا وبيانا ومنطقا وخاطرا وذكاءا وطبعا .

٢ ـ وقال زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي : لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله .

٣ ـ وقال السبكي : انه حجة الاسلام ، وحجة الدين التي يتوصل بها الى دار السلام وانه جامع اشتات العلوم ، والمبرز في المنقول منها والمفهوم .

جرت الائمة قبله شأوا ، ولم تقع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطلب وراء مطلب لاصحاب النهاية والبداية .

حتى اخمل من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السها ، واخمد من نيران البدع كل ما لا تستطيع ايدي المجالدين مسها .

كان رضى الله عنه ضرغاما الا أن الاسود تتضاءل بين يديه وتتوارى ، وبدرا تماما الا أن هداه يشرق نهارا ، وبشرا من الخلق ، ولكنه الطود العظيم ، وبعض الخلق ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم .

جاء والناس الى رد فرية الفلاسفة احوج من الظلماء لمصابيح السماء وافقر من الجدباء الى قطرات من الماء .

فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بحلاوة مقاله ، ويحمي حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى اصبح الدين وثيق العرى ، وانكشفت غياهب الشبهات ، وما كانت الا حديثا يفترى .

هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره ، وتجريد تراه به وقد يؤخذ في بحر التوحيد .

ترك الدنيا وراء ظهره ، واقبل على الله يعامله في سره وجهره .

وقال : كان شديد الذكاء ، سديد النظر ، عجيب النظرة ، مفرط الادراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور ، غواصا على المعاني الدقيقة ، وكان مناظرا قوي الحجة غلابا .

ولما درس بالمدرسة النظامية ببغداد اعجب الناس بحسن كلامه ، وكمال فضله ، وفصاحة لسانه ، ونكته الدقيقة واشاراته اللطيفة ، فأحبوه .

وقال : انتقل الغزالي الى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء ،

أعلى منزلة من نجم السماء ، لا يكرهه الا حاسد أو زنديق ، ولا يسومه بسوء الا جائر عن سواء الطريق ، ينشد لسان حاله :

وان ينلني مـن أشرارهم غسق
فالدر أحسن اشراقا من الظلم
وان رأوا بخس فضلي حق قيمته
فالـدر در وان لم يشر بالقيم

٤ – ووصفه استاذه امام الحرمين بانه بحر مغدق ، على حين ان تلميذه الثاني (الكيا) أسد مخرق ، وتلميذه الثالث (الحوافي) نار تحرق .

٥ – وذكر الحافظ ابو طاهر السلفي انـه سمع الفقهـاء يقولون : كان الجويني – امام الحرمين –يقول في تلامذته اذا تناظروا : التحقيق للحوافي ، والحدسيات للغزالي ، والبيان للكيا .

٦ – وقال تلميذه محمد بن يحيى الغزالي : لا يعرف فضله الا من بلغ الكمال في عقله او كاد يبلغه .

٧ – ومن الغريب ان استاذه امام الحرمين مع علو درجته ، وسمو عبارته ، وسرعة جريه في النطق والكلام ،ومع انه وصف تلميذه الغزالي بانه بحر مغدق ، وبانه ابرع تلاميذه في الحدسيات ، كان لا يصفي نظره الى الغزالي ، غيرة من سرعة عبارته ، ومن قوة طبعه ، وكان لا يستريح الى تصدي الغزالي للتأليف ، وان كان متخرجا عليه ، ومنسوبا اليه ، ولكنه كان يحاول اخفاء ذلـك ، فيظهر الاعتزاز به .

٨ – وسئل الشيخ ابو العباس المرسي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي عن الغزالي فقال : اشهد له بالصديقة العظمى .

٩ – وهكذا يثني عليه ويعتز به ابن السبكي والمناوي والسمعاني وابن عساكر وابن النجار والحنبلي والفتح البغدادي والشعراني .

١٠ – ورثاه القاضي عبد الله بن احمد بن محمد المعافي بأبيات منهـــا :

بكيت بعيني راحم القلب والـه
فتى لم يوال الحقّ من لـم يواله
وسيبت دمعا طالما قـد حبسته
وقلت لجفني والـه ثـم والـه
أبا حامـد محيي العلوم ومَنْ بقى
صدى الدينْ والاسلام وفقَ مقاله

١١ – وجاء في رثاء أبي المظفر الابيوردي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٥٧ هـ له قوله :

بكى على حجة الاسلام حين ثوى
من كل حي عظيم القـدر أشرفه
تلك الرزية تستوهي قوى جلدي
فالطرف تسهره والـدمع تنزفه
فما لـه خلـة في الزهـد منكرة
وما لـه شبهة في العلم تعرفه
مضى فأعظـم مفقود فجعت بـه
من لا نظير لـه في النـاس يخلفه

١٢ – وتمثل الامام اسماعيل الحاكمي بعـد وفاته بقـول ابي تمام :

عجبت لصبزي بعـده وهو ميت
وكنت امرأ أبكى دما وهو غائب
على أنها الايام قـد صـون كلها
عجائب حتى ليس فيهـا عجائب

١٣ – ومن المغالاة المرفوضة قول النووي شارح صحيح الامام مسلم : « كاد الاحياء يكون قرآنا » ، لان هذه جملة خطيرة لا تمت الى الصواب بصلة ، فشتان ما بين القرآن الكريم وكتاب الاحياء ، وان الدارسين ليعلموا أن الاحياء مثقل بالاحاديث الموضوعة التي ردها الحافظ العراقي ، ويعلمون أن بـه كثيرا من الاخبار التي لا أصل لها .

١٤ – كذلك من المغالاة غير المقبولة قول الشيخ عبد القادر العيدروس : « ليس له نظير في بابه ، ولم ينسج على منوالـه ، ولا سمحت قريحة بمثاله ، مشتملا على الشريعة والطريقة والحقيقة »

ثم يذكر العيدروس ان الشيخ الامام أبا الحسن ابن حرزهم الفقيه المغربي المشهور كان بالغ في الانكار على كتاب احياء علوم الدين ، وكـان مطاعا مسموع الكلمة ، فأمر بجمع ما ظفر به من الاحياء ، وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة ، فرأى في تلك الليلة كأنه دخل الجامع فاذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم في الجامع ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ، والامام الغزالي قائم بين يدي النبي ، فلما أقبل ابن حرزهم قـال

الغزالي : هذا خصمي يا رسول الله فان كان الامر كما زعم تبت الى الله ، وان كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذ لي حقي من خصمي . ثم ناول النبي كتاب الاحياء ، فتصفحه ورقة ورقة ثم قال : والله أن هذا لشيء حسن ، ثم ناوله الصديق فنظر فيه فاستجاده ، ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق انه لشيء حسن ، ثم ناوله الفاروق عمر ، فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق ، فأمر النبي بتجريد الفقيه على بن حرزهم من القميص ، وان يضرب ويحد حد المفتري ، فجرد وضرب ، فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق ، وقال : يارسول الله لعله ظن خلاف سنتك ، فأخطأ في ظنه ، فرضى الامام الغزالي ، وقبل شفاعة الصديق ، ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط في ظهره ، واعلم اصحابه ، وتاب الى الله من انكاره على الامام الغزالي ، واستغفر، ولكنه بقي مدة طويلة متألما من أثر السياط ، وهو يتضرع الى الله تعالى ، ويتشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى أن رأى النبي دخل عليه ، ومسح بيده الكريمة على ظهره ، فعوفي وشفي باذن الله تعالى .

ثم لازم مطالعة احياء علوم الدين ، ففتح الله عليه فيه ، ونال المعرفة بالله ، وصار من أكابر المشايخ أهل العلم الباطن والظاهر ، رحمه الله تعالى .

قال اليافعي : روينا ذلك بالاسانيد الصحيحة ، ثم ذكر العيدروس ان الحافظ بن عساكر أدرك الامام الغزالي واجتمع به ، قال : سمعت الامام الفقيه الصوفي سعد بن علي الاسفرايني يقول : سمعنا الشيخ الامام الاوحد أبا الفتح الشاوي يقول بمكة المشرفة : دخلت المسجد الحرام يوما ، فطرأ علي حال ، وأخذني عن نفسي ، فلم أقدر ان أقف ولا أجلس ، لشدة ما بي ، فوقعت على جنبي الايمن تجاه الكعبة المعظمة ، وأنا على طهارة ، وكنت أطرد عن نفسي النوم ، فأخذتني سنة بين النوم واليقظة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، في أكمل صورة وأحسن زي من القميص والعمامة ورأيت الائمة الشافعي ومالكا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضون عليه مذاهبهم واحدا بعد واحد ، وهو صلى الله عليه وسلم يقرهم عليها ، ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة ، فأمر النبي بطرده واهانته ، فتقدمت أنا ، وقلت يا رسول الله هكذا الكتاب أعني احياء علوم الدين — معتقدي ومعتقد أهل السنة والجماعة ، فلو أذنت لي حتى أقرأه عليك ، فأذن لي ، فقرأت عليه من كتاب قواعد العقائد ... حتى انتهيت الى قول الغزالي : « وأنه تعالى بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة العرب والعجم والجن والانس » فرأيت البشاشة في وجهه ، ثم التفت وقال : أين الغزالي ؟ واذا بالغزالي واقف بين يديه ، فقال : هأنذا يا رسول الله ، وتقدم وسلم ، فرد عليه السلام ، وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالي يقبلها ، ويتبرك بها ، وما رأيت النبي أشد سرورا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتي عليه الاحياء ، ثم انتهيت والدمع يجري من عيني من أثر تلك الاحوال والكرامات .

وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لمذاهب أئمة السنة ، واستبشاره بعقيدة الغزالي وتقريرها نعمة من الله عظيمة ومنة جسيمة .

١٥ — وشبيه بهذه المغالاة ما ذكره الشيخ عفيف الدين عبد الله اليافعي باسناده الثابت الى القطب شهاب الدين احمد الصياد اليمني الزبيدي — وكان معاصرا للغزالي — اذ قال : بينما أنا ذات يوم قاعد اذ نظرت الى أبواب السماء مفتحة ، واذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خلع خضر ومركوب نفيس ، فوقفوا على قبر من القبور ، وأخرجوا صاحبه ، وألبسوه الخلع ، وأركبوه ، وصعدوا به من سماء الى سماء ، الى أن جاوز السماوات السبع ، وخرق بعدها ستين حجابا ، ولا أعلم اين بلغ انتهاؤه ، فسألت عنه ، فقيل لي : هذا الامام الغزالي ، وكان ذلك عقيب موته رحمه الله تعالى .

١٦ — وعلى هذا الفرار ان سيد الجليل أبا الحسن الشاذلي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، وقد باهى موسى وعيسى عليهما السلام بالامام الغزالي ، وقال : أفي أمتكما حبر كهذا ؟ قالا : لا .

(٢) من أقوال خصومه

للغزالي خصوم اكثرهم من الفقهاء والمحدثين ، اتهموه بالانسلاخ من الدين ، وبأنه طوى بصوفيته بساط الشريعة .

١ ــ هكذا زعم ابن الجوزي .

٢ ــ وقال بعض ناقديه أنه ذكر في كتابه (كيمياء السعادة والعلوم) ألفاظا بالفارسية مستبشعة ، وشرح بعض الصور والمسائل شرحا لا يوافق رسم الشرع ، ويخالف قواعد الاسلام ، وكان الاولى به ترك ذلك التصنيف والاعراض عن ذلك الشرح .

٣ ــ وذكر أبو الوليد الطرطوشي أنه رأى الغزالي وكلمه ، فرأى رجلا من أهل العلم نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طوال زمانه .

ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ، وتصوف ، فهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر وارباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، وكاد ينسلخ من الدين .

فلما تكلم في الاحياء في علوم الاحوال ورموز الصوفية سقط على ام رأسه .

ولقد رد السبكي على الطرطوشي بقوله : لا ادري كيف اجاز لنفسه ان يقول أن الغزالي دخل في وساوس الشيطان .

وأما قوله رموز الحلاج ، فلا ادري أي رموز في كتاب الاحياء ، وليس للحلاج رموز يعرف بها .

وأما قوله أنه كاد ينسلخ من الدين ، فيالها من كلمة ، وقانا الله شرها .

وأما قوله أنه غير انيس بعلوم الصوفية فكلام بارد ، فقد كان ذا قدم راسخة في التصوف .

وأما دعواه انه سقط على أم رأسه فوقيعة بغير دلالة .

٤ ــ وقال الامام ابو عبد الله المازري المالكي : الغزالي أعرف بالفقه منه بأصوله .

وصنف في علم الكلام الذي هو أصول الدين ،وليس بالمستبحر فيه ، لانه قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن أصول الدين ، فأكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني ، وتسهيلا للهجوم على الحقائق ، لان الفلاسفة تمر مع خواطرها وليس لها حكم شرعي ترعاه ، ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها .

وقد رد السبكي على المازري بأنه غضب من الغزالي اذ ضعف مذهب مالك في كثير من المسائل ، مثل المصالح المرسلة ، وتوهم المازري أن الغزالي يخالف شيخ السنة أبا الحسن الاشعري ، ولان كل شيخ متعصب لطريقته .

ولا شك أن طريقة الغزالي التصوف ، والتعمق في الحقائق ، ومحبة اشارات القوم ، على حين أن طريقة المازري الجمود على العبادات الظاهرة والوقوف معها ، ولهذا اختلفت الطريقتان ، واختلف المزاجان ، وتباعد القلبان .

وأما قوله انه اشتغل بالفلسفة قبل استبحاره في فن الاصول ، فليس الامر كذلك ، لانه لم ينظر في الفلسفة الا بعد أن استبحر في الاصول ، وقد ذكر هذا في كتابه المنقذ من الضلال .

وأما قوله انه تجرأ على المعاني ، فانه لم يتجرأ الا حيث دله الشرع .

وهو لم يعتمد على كتب ابي حيان التوحيدي .
وأما ابن سينا فالغزالي يكفره ، فكيف يقتدى به ؟.

ثم تعقب المازري بتفنيد دعاواه كلها .

(٣) بين التأييد والهجوم

وبين المعجبين بالغزالي المحبين له وبين شانئيه طائفة ثالثة معتدلة في حكمها عليه ، يمثلها الفيلسوف المتصوف ابن عربي وعبد الكريم الجيلي والشعراني والسيوطي والتاج السبكي .

● أحمد محمد الحوفي

المراجع

١ ــ احياء علوم الدين . الغزالي . المطبعة العثمانية بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣) م

٢ ــ تاج العروس . الزبيدي .

٣ ــ تعريف الاحياء بفضائل الاحياء . العيدروسي باعلوي . بهامش الاحياء .

٤ ــ تهافت الفلاسفة . الغزالي . تحقيق الدكتور سليمان دنيا . طبعة دار المعارف ١٩٧٢ .

٥ ــ الجمان فيما سلف من اخبار الزمان . ابن القطان .

٦ ــ المغنى عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار . العراقي على هامش الاحياء .

٧ ــ طبقات الشافعية الكبرى . السبكي . طبعة الحلبي بتحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي . وطبعة المطبعة الحسينية المصرية .

٨ ــ المنقذ من الضلال . الغزالي . تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .

٩ ــ وفيات الاعيان . ابن خلكان . تحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٤٨ .

المخطوفون

محمد المجذوب

قصة

رأيته لاول مرة في المسجد النبوي المبارك .. وكان ذلك قبل سبع سنوات ، ثم ألفت رؤيته هناك ، وقلما افتقدته في أية جماعة يتاح لي حضورها .. وقد ركز بصري عليه اعتياده أحد الصفوف الاولى من الركن الغربي ، فهو اما بين السابقين أو الذين يلونهم .

ووجدت في مظهره ما استرعى اهتمامي . بل ضاعف شعوري بانسانيتي ، فهو عجوز لا تقل سنه عن الثمانين ، ومع ضعفه البارز لا ينقطع عن شهود الجماعات في أفضل مسجد بعد البيت الحرام ، فتراه يجر نفسه متهاديا على عصاه القصيرة ، مضيقا دائرة بصره ليتبين ببقاياه طريقه ، حتى يبلغ مكانه الذي اعتاده من المسجد ، فاذا وجده مشغولا تخلف الى ما وراءه ، ثم أقام الركعتين تحية المسجد ضمن حدود طاقته في خشوع بالغ ، وفي اتقان الحريص على متابعة الهيئة التي امر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا بلغ السجود به الجهد . اذ لا تمكنه ساقاه المريضتان من الجلوس بين السجدتين ، بقي مكبا على يديه حتى يستوفي الاطمئنان ، فاذا قعد للتشهد مدهما مضطرا .. وهكذا يؤدي المكتوبة خلف الامام ، حتى اذا أتم صلاته وتسبيحه عاد كما أتى الى حيث لا أعلم ...

وما أدري لماذا كنت ـ ولا أزال ـ أستريح للنظر اليه في صلاته هذه ، واستشعر لونا من الرضى حين أنظر الى وجهه البني الصغير المنمنم ، وقد أحاطت به لحية حفيفة يكاد يلتهمها البياض ، وحتى عيناه الضيقتان المنطفئتان تبعثان في نفسي روحا لا أعرف مصدره ... وبالاختصار كان كل ما في هذا العجوز جميلا في مقياس نظري ، وان كنت لا أستطيع ولا أحسن تحديد مصادر هذا الجمال .

وذات مرة لقيته خارجا من باب السلام ، وهو يلتمس طريقه بعصاه ، ويقول في أدب كثير : « من يحملنا الى البيت ؟ » ووجدتها فرصة طيبة لمرافقته ، ففتحت له باب السيارة وقلت : تفضل . انني في خدمتك ..

وكأنه لم ير في ذلك شيئا غير مألوف ، فجاهد وأعنته للوصول الى المقعد .. ثم قال : « لكنني سأكلفك اكثر من الركوب ، لانك ستنتظرني حتى آتي ببعض المقاضي من سوق الخضار .. » ولم يكن في طلبه ما يزعجني ، فقلت له : اذا شئت ذكرت لي ما تبقى فأتيك به .. ولكنه أدرك ما أريد شكر لي غرضي ، وأصر على استحضار اشيائه بنفسه ، ووقفت السيارة حيث أراد ، وانتظرته حتى عاد بما اشترى من الطعام ، فواصلت به السير الى الزقاق الذي وجهني اليه .. وفي نهاية الطريق المسفلت أشار علي بالوقوف وهو يقول «لا تكلف سيارتك أكثر من هذا وتعال معي أدلك على بيتي .. » ومشينا قليلا حتى واجهنا حجرة صغيرة بدائية البناء ودون فناء فقال « هذا هو المسكن الذي أقيم فيه مع زوجتي .. » وألح علي بتناول بعض الشاي عنده فاعتذرت اليه ، ووعدته بزيارة في نوبة أخرى .. ومنذ ذلك اليوم توثقت

الصلة بيني وبينه ، واعتدت أن أحمله كلما لقيته الى الحجرة التي عرفت .. ولكنه ما كان ليريد هذا دائما ، اذ كثيرا ما يعتذر عن الركوب بأن له حاجة في طريق آخر لا تسلكه السيارات ..

وكان طبيعيا أن يأنس بي وآنس به ، فلا نلتقي ونفترق صامتين ، ومن هنا علمت ان الرجل من خواص العامة ، فهو مع كونه أميا ، على جانب من المعرفة بفضائل الاسلام ، ويحفظ بعض الاحاديث ذات الاصل الصحيح في الحلال والحرام وصالح العمل ، وان كان عاجزا عن ضبط ألفاظها وفق النطق السليم .

وشاء الله أن اقضي شهرين من اجازتي الصيفية في لبنان لاشرف على طباعة بعض كتبي ، فلما عدت الى المدينة جعلت أتفقده حيث كنت أعهده من المسجد النبوي ، فلم أره وسألت به فلم أعثر على خبره ، وقصدت الى مسكنه .. وهناك لقيته وعانقني بشوق صادق .. ثم أبى الا أن أشرب معه الشاي وفاء لوعدي ، فاستجبت وجلست حيث مهد لي على مرتبته .. واستقبلتني زوجته السوداء باكرام بالغ ، وكان الشراب جاهزا ، فأخذت منه قدحا بعد قدح ، وكان لا بد من المجاملة فسألته عن صحته وسألني ... واعتذرت اليه بغيابي في لبنان ، وقال : وأنا منذ ايام غائب عن المسجد لاني هويت في احدى الحفر أثناء تلمسي الطريق للصلاة .. فأراد تعريفي لزوجته فلم يذكر من اسمي الا أوله فاتممت له ، وقلت .. أنا مثلك ايضا لا أعرف من اسمك الا أوله .. فأنت سعيد. قال « نعم أنا سعيد عيد سرور ؟.. قلت : فأبوك اذن هو عيد سرور ؟.. قال .. لا .. ليس بأبي لكنه مولاي » وأدركت ما أراده بهذه الاجابة فقلت : « اذن فأنت عتيق صاحب هذا الاسم ؟.. قال : نعم .. أنا عتيقه ، وهو مولاي . فعليه رحمة الله .. »

وسكت قليلا أجيل نظري في تلك الحجرة ذات السقف الخشبي الخفيض والارض النازلة عن مستوى الفناء .. وقد راقني منها تلك النظافة التي تشمل كل شيء فيها ، ثم ذلك الترتيب الذي يضع كلا من محتوياتها المتواضعة مكانه المناسب ، ثم غلبني الفضول فسألت سعيدا ان يحدثني عن رقه وعتقه ، فلم يتردد اذ وجد في ذلك ما يطيل بقائي لديهما .

قال : كان ذلك قبل سبعين سنة أو قريبا من ذلك اذ كنت في السابعة من عمري ، وقد حملني خالي معه من موطننا (برقو)في أواسط افريقية ، حيث خرج مع قافلة من الناس يقصدون الى الديار المقدسة ، فقطعنا المسافات الطويلة على ظهور الدواب الى السودان ، ومن هناك ركبنا البحر الى جدة .. ولم نبلغ شاطئها الا بعد نفاذ دراهمنا .. وبينما أنا مع رفاق لي عند خيمتنا وقد أخذ مني الجوع .. اذ برجل يقف ويدعونا الى (كرامة) .. أتعرف ما الكرامة ؟ انها طعام يصنعه المحسنون للحجاج .. فمضيت معه وحدي ، وما زال يسلك بي السبل المختلفة حتى دخلنا منزلا ذا ثلاثة أدوار ، فتسلقت معه الدرج الى الدور الاعلى .. وفي احدى الغرف هناك وجدتني مع ثلاثة أطفال في مثل سني .. وفجأة تتبدل لهجة الرجل وينذرنابأنهسيبيعنا الى من يعنى بأمرنا !.. ثم أخذ يهددنا بأشد العقوبة اذا نحن أبدينا أي تمرد ! أو رفعنا أصواتنا بالصراخ أو البكاء .. وما هي الا ساعة حتى اضيفت الينا جارية اكبر منا قليلا وأكثر وعيا .. فلما اغلق علينا الباب سألتنا عن شأننا فذكرنا لها ما حدث لنا .. فقالت « ان هذا الرجل حرامي يخطف الصغار » ولا سبيل الى خلاصكم الا بمتابعتي .. فافعلوا ما آمركم به،

وأخذت تفتش في اشياء الغرفة حتى عثرت على بعض الامراس فربطت احداها بالاخرى ، ثم فتلت بعض الاغطية وقرنتها بالامراس حتى صار لديها حبل طويل ، فعقدت طرفه بعمود النافذة ثم اطبقت عليه بكلتا يديها ، ومدت بجسمها الى الخارج ثم جعلت تنحدر شيئا فشيئا حتى بلغت أرض الزقاق واستعجلتنا لنلحق بها فلم نجرؤ والظاهر انهااتصلتبدارالحكومة.. فاذا الجنود يقبلون الى الحي .. ويحس بهم اللص فيسوقنا أمامه الى سطح المنزل ، والسطوح أيامذاك متلاصقة ، فما زال يدفعنا من سطح الى آخر حتى تجاوزنا البلد الى (الرويس) وكانت في الطرف الشمالي من ضواحي جدة .. وهناك باعنا الى بعض البدو .. وهذا الذي اشتراني من الرويس — هو الذي أطلق علي الاسم الذي تعرفه كما اطلق على رفاقي اسماءهم الجديدة ولم يطل بنا المقام عنده كثيرا اذ ما لبث ان باعنا ايضا لبعض شيوخ البدو وماهي الابرهة حتى نسينا ماضينا

كله ، وألفنا اوضاعنا الجديدة في تلك الخيام المبعثرة على جوانب الصحراء ..

ولم يعد لدى أحدنا متسع حتى لتذكر أهله فضلا عن التفكير بحريته ، وكلما اشتد ساعد الواحد منا عهدوا اليه بعمل يتناسب مع قدرته ، من الرعي أو السقي أو جمع الاعشاب .. والويل له اذا تدخل في ما لا يعنيه ، أو تلكأ في العمل الذي فرض عليه !.. ولم يعد غريبا علينا أن نفترق بعد اجتماع ، فيساق بعضنا لمالك جديد اشتراه بماله أو استبدله ببعض دوابه .. وبين الحين والآخر يضم الينا أمثالنا ممن فصلوا عن أهليهم أو اختطفوا من ذويهم .. وبذلك يظل عددنا خاضعا للزيادة والنقصان ، كشأن المواشي التي نعيش معها . وكان من قدري أن يتداولني عدد غير قليل من المالكين حتى انتهيت الى بعض أطراف اليمن ، وصرت الى أحد شيوخ البدو هناك ، فكنت أرعى ابلهم وأخدمهم حتى ألمت بالناس مجاعة هائلة ، فعرضت على سيدي أن يبيعني ببعض الحبوب لننقذ انفسنا من شرها .. وهكذا قضى الله أن ادخل ملك أحد القضاة الذي دفع ثمني خمسة وثلاثين كيسا من الذرة ، وعند هذا القاضي استرددت بعض انسانيتي ، اذ علمني الوضوء والصلاة وما لا بد من معرفته عن الحلال والحرام ..

ولم اتمالك هنا ان سألته « وقبل ذلك ألم تكن تصلي ؟.. قال : واين العبد من الصلاة في البادية !.. لقد كنا نصوم لان الحي صائم ولا مطمع بطعام قبل الليل .. ثم لا شيء غير الصوم .. »

قلت واصحابك في البادية .. ألم يكونوا يصلون؟.

قال « نعم يصلون .. كما يخطفون الصغار ويغيرون على الحجاج !.. »

وسرعان ما قفزت بي هذه الكلمة الى طرفة كنت قد سمعتها منأ حد الشيوخ ، وكان يحدثنا عن جاهلية البادية قبل العهد السعودي ، فذكر قصة رجل أغار أحد الايام على أطراف الحجيج فاستاق بعض رجاله ، ثم لم يطلقهم الا بعد أن افتدى كل منهم نفسه بمبلغ معين من المال .. وتخلف احدهم لخلويده من كل قدرة على الفداء . حتى رأى ذات ليلة مختطفة وهو يقوم لصلاة الليل ، فاستبشر وقال : ان من يقوم الليل لا يصلح لقطع الطرق على الحجاج .. »

فأجابه البدوي « تلك حرفتنا التي بها نرتزق فلا غرابة ان نجمع بينها وبين الصلاة » .

ووجدتني ارسل ضحكة عالية دون ان أذكر سببها .. وضحك محدثي وهو يحسب انني اتجاوب مع نكتته ، ثم تابع « وقضيت سني تلك عند ذلك القاضي الذي ما لبث أن اطمأن الي فجعل الي رئاسة عبيده الثلاثين ، واتمنني على مفاتيح امواله ارعاها واحفظها . حتى جاء ابن عم له يساومه علي ، فترك لي صاحبي حق الخيار بينهما .. فقلت لا أفضل عليك سيدا الا ان يعدني ابن عمك ألا يبيعني الا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرضي الرجل بذلك . ولبثت عنده بضع سنين . وزوجني بأمة له .. الا اني لم أقاربها اذ علمت ان القوم يستولدون رقيقهم ليتاجروا بأطفالهم .. حتى شاء الله فتوجه بي مالكي الى المدينة المنورة ، ولكن ما ان وصلنا قرية (الفريش) حتى جاءت الانباء بثورة الشريف حسين على الخلافة ، وتناقل الناس اخبارا مفزعة عن معارك تحتدم في قلب المدينة ، بين انصاره وحاميتها التركية بقيادة فخري باشا .. فاستحال علينا دخولها ، وعدنا أدراجنا حتى (ينبع) وهناك أحللت مالكي من عهده وفوضت له أن يبيعني لمن يشاء .. »

واطرق سعيد برأسه في صمت .. كأنه يلملم أشتات ذاكرته .. ثم رشف جرعتين من الشاي ، ورفع يديه في خشوع يقول « اللهم ارحمه واغفر له » .

قلت : ومن هذا ؟.. قال : الرجل الذي رد الله به الي حريتي ...

وتابع « كنت قد لبثت خارج ينبع النخل مع الدابتين ارعاهما في غياب صاحبي الذي هبط البلد : وبينما أنا في غفوة القيلولة مع الدابتين سمعت صوته يناديني ، ففتحت عيني لأرى معه هذا الرجل الذي لم أعرفه من قبل ، ولكني لم استغربه لان في وجهه المشرق الجميل ما يجعله قريبا من كل قلب ..

وبادرني هذا الغريب بالتحية .. ودعا لي بالعافية ، ثم سألني عن اسمي وكنيتي ، فاجبته بما علمته وقال صاحبي « هذا سيدك ، وقد اصبحت كنيتك تابعة له منذ اليوم » ..

وأتم الرجل الجميل الخبر فقال : « يا بني .. اسمي محمد عيد سرور .. وقدصرت كولدي فاسمك اذن سعيد سرور » .

وما ادري لماذا احببت تلك الكنية اكثر من سائر الكنى التي تداولتني اثناء تنقلي بين مختلف المالكين . ولم ألبث ان ودعت صاحبي لالتحق بالمالك الجديد ، الذي مضى بي الى بيته ، وهناك جاءني بملابس أحد بنيه ، ثم أمرني بدخول المغتسل ، فاغتسلت واكتسيت ، وعملا باشارته القيت بجلبابي الترابي بعيدا عن البيت ..

ولما كان صباح اليوم التالي مضى بي الى قاضي ينبع ، وأبرز لديه الصك الذي يثبت ملكيته لرقبتي ، ثم أعلن انه يعتقني لوجه الله صدقة عن روح والدته ..
وسجل صك العتق ، وأعطاني القاضي صورة منه لا أزال احتفظ بها ..

وكانت زوجته السوداء — التي تقدم لنا الشاي — تتابع حديثه باهتمام ، ولما ذكر كتاب العتق لم تتمالك ان تقول (يعني مثل الذي معي !.)

والتفتت الي لتخبرني انها احدى ثلاثين أمة قد اعتقهن الملك عبد العزيز بن سعود ، بعد أن أمر لكل منهن بما يعينها على الحياة ...)

واستأنف سعيد يقول : ولا أكتمك انها كانت مفاجأة غير سارة بالنسبة الي ، اذ وجدتني بغتة أمام مسؤولية لا أعلم كيف اتصرف بها ؟.. لقد كنت أشبه بالطفل ، بل كنت في الواقع طفلا كبيرا .. خالي الشعور من كل تبعة الا ما اكلف به من عمل يحدده مالكي ، ويتحمل وحده غرمه وغنمه .. أما الآن فقد خيل الي انني أحمل صك اعدامي .. اذ تصورت ان الرجل سيقذف بي الى الدنيا دون اي استعداد لمواجهتها .. فما ادري أين أذهب .. وماذا أعمل .. والى من ألجأ ..! وغلبني الضعف فانطلقت أبكي .. ولكن الرجل كان اكرم مما تصورت ، فقد عاد بي من دار القضاء الى داره وجعل يطمئنني بأنه لن يتخلى عني مادمت في حاجة اليه ، وألح علي أن أعتبر نفسي واحدا من أولاده ، أقيم بينهم حتى استغني عنهم . وسرعان ما اتبع القول العمل ، فألحقني بالعديد من العمال الذين يشتغلون في نخيله ، أعمل وأطعم وأسكن معهم .. ويحاسبني بالاجر كواحد منهم . غير اني لم آمن على نفسي المال الذي لم أعتد ملكه من قبل ، فرجوت منه أن يحفظ لي أجري الى وقت الحاجة . وما هي الا أشهر يسيرة حتى عرفت طريقي واستوثقت من نفسي ، ولما رأى مولاي نشاطي اقترح علي أن يزوجني بعتيقة له مات عنها بعلها وترك لها صغيرا ، فرضيت ولبثت معها زمنا على أحسن حال حتى توفاها الله ، في العام نفسه الذي شهد وفاة مولاي . وقد بلغ ولدها الذي أصبح كولدي سن الرشد ، ونال من التعليم ما أهله لعمل متواضع في بلدية المدينة المنورة ... وبذلك اتيحت لي الفرصة لارواء شوقي القديم الى هذا البلد الكريم ، فنزحت معه ، وأقمت لديه حتى تزوج ورزق البذور ، فرأيت أن انفرد عنه بسكناي ، فرفعت هذا البيت المسكين مثلنا ، وتزوجت هذه العتيقة مثلي .. وقد شاء الله ان يعاجل الاجل ولدي ذاك ، فمضى الى ربه ، وترك خلفه أرملته وايتامه ، ولكنهم والحمد لله مكفيون بما يتلقونه من عون لم ينقطع) .

★ ★

وكان سعيد يلقى علي آخر حديثه وهو يرفع قدحه ليفرغ في فمه آخر ما فيه ، فقلت وأنا اتحفز للخروج .. ورفاقك المخطوفون القدامى .. ألم تدر شيئا عن مصيرهم ؟.. أتراهم سعدوا بمثل حظك من الحرية .. أم لا يزالون يرسفون في أغلال العبودية ؟!.
فأمسك قليلا ثم رفع رأسه ليقول لي بلهجة مشبعة بالحنان : « أولئك الاخوة .. لم ألق أحدا منهم منذ ستين سنة .. ولكني واثق انهم قد استردوا حريتهم جميعا ، بما يسر الله لهم من الخير على يد فيصل بن عبد العزيز .. »

● محمد المجذوب — المدينة المنورة



صلاة النفس

محمد حسن عواد

قالت النفس قم نصل الى اللـ ـه فشر النفوس من لم تصل

قلت يانفس سبحي الله طوعـا وأصيخي واستنكري أن تملي

•

سبحي الله فالطبيعـة يقظـى وتعالي قـرب الخضـم نصلي

وابعثي الوعي والبصيرة يرتـا دا مجاهيلـه علـى أي شـكل

في صفـاء يشع من فلك الالـ ـهام مستمليا اذ الكـون يملي

يفهـم الكـل في حقيقـة بعض تبرز البعض موحيا روح كـل

يستشف الحياة في العالم المطـ ـوي بين النفوس طي السجل

فيجوب الضمير والفكر يجري في النواميس بين بعـد وقبـل

فيرى ما يكن في الماء ، والزهـ ـرة، والارض، والفضاء المطل

هذه صيحة الحيـاة تنـادي عاشقيها لفهـم معنـى التجلي

انهـا فرصـة فـلا تتركيهـا تتلاشـى وبـادري للتملـي

واكرعي من مناهل الروح خمرا فتحت للهـدى منافـذ عقـل

•

أتريـن الطبيعـة الآن كالكـا عب ، وشي الجمال في بردتيها ؟

ليس في البحر والجبـال ولا في منظر الكائنـات ترنـو اليهـا

لا ، ولا في الطيور رفافـة الالوا ن مرتـادة علـى جانبيهـا

ليس في هـذه المرائي حيـاة ثـرة تجشـم النفـوس لديهـا

انمـا منبع الحيـاة مـن القلـ ـلب ومـن قاعه تمـد يديهـا

فاسلكي منهج التأمل فالآ يات توحي اذا أصيخ اليها
ثم تمضي الى الدنا بهدوء أو ضجيج ، في شكل ظلم وعدل

●

سعداء أولو الصلاة ولكن عندما يدركون مجد الصلاة
كم صلاة قوامها الجسد الطا لب سقط المتاع والترهات
هارب من جحيمه السهل يبغي جنة القابعين عند الفتات
ان في القلب جنة وجحيما واتساعا لفهم هذي الحياة
وخشوعا ، وعزة ، واعتلاء وهويا لاسفل الدركات
وصعودا الى السماء بلا اذ ن ، ولوبا بواسع الفلوات
فدعي كونك الغير سويعا ت ، وهيا الى الخضم نصلي

●

هاهو البحر ذا فهل تشهدين ال عمق من خلف موجه أو هديره ؟
ثم هل تسمعين ما ينطق العمـ ق بـه من زفيره أو خريره ؟
ثم هل تشعرين فيه بهذا الـ صمت ان ظل مصغيا في زخوره
لست أدري وقد أحس وأصغي بين تفكير «كامني» وشعوره(١)
ان في السمع والشعور وفي الرؤ يـة ما لم يخط بين سطوره
فارجعي للصدى بداخل أعما قك واستسلمي الى تأثيره
واجثمي عند ملتقى القلب والفكـ ـر فبحر الحياة أروع حقل

●

أبذري فيك رحمة الناس، فالنا س حريون بالمراحم طرا
وأحبي الورى ولا تفتحي القلـ ب لما ينفث الخبيثون سرا
واسحقي فكرة التقيد بالشكـ ـل ، ولا تحقري من الخير نزرا
فالصغير الحقير، والرائع الضخـ ـم ، وذاك الذي توسط أمرا

(١) الكامن أو الكامنة هو العقل الباطن

والضعيف الفقير ، والايد المثـ … ـرى ، ومن حل بين ذين مقرا

كلهم واحد وليس بناج … منهمو من يدس للناس شرا

والورى كلهم سواسية ما … من سعيد سوى الذي رام طهرا

والفروق التي تميز أصبا … غ، وان شئت فهي آلات وصل

● ●

ارفعي للعلاء عقلا يناجي … خالق الارض والسماء بمس

فكري والسماء تزخر بالار … واح ، والارض في غياهب حدس

كيف يلقى الهوان فاعل خير … وينال السمو فاعل رجس ؟

كيف يستحصد السعادة فدم … وتنحي عن الفؤاد المحس ؟

كيف يسمو المقام في هذه الار … ض بمن هام دهره بالتدسي ؟

كيف تجري الحظوظ مجرى الا … كفايات، ولاتوصم الحياة بمس ؟

عقد في الحياة عسراء كثر … آه لو تظفرين منها بحل !!

● ●

سبحي الله فالطبيعة يقظى … واستمدي من المرائي جلالا

واسألي الله أن يزيح سدول الـ … ـفكر ، حتى نرى الخبيء اتصالا

اسأليه متى ترى تأذن المجـ … ـهول الا يؤودنا استجهالا ؟

أو من حقنا السؤال، أم الانـ … ـفس للرد ما تطيق اقتبالا ؟

غير أن الجواب سلب فحومي … حوله، واقتفي، وخافي الضلالا

ثم قولي، وماكسبت سوى الحيـ … ـرة، هيهات أن أنال منالا ؟!

فتباركت ربنا وتعاليـ … ـت بعلم ، كما هبطت بجهل

★ ★ ★

واذا نـامت النفوس اللـواتي أهملت ربهـا ، نهـارا وليـلا
فاجعلي اليقظة السعيدة هجيـ ـراك ، واستشعري الجمال المطلا
وانشريه بعد الشعور على العا لـم يمتـد في الهجيرة ظـلا
واطمئني له ، فذلك ظـل الـ ـله يختار في النفوس محـلا
وثقي أنـه سينشر مـن أطـ ـوائه في الوجود نـورا وفضـلا
فتـؤدين واجبـا مشمخـرا وتزيدين حكمة لـن تضـلا
فالى هـذه الصـلاة ، فـذرا ت الـورى كلهـا كذاك تصلي

●

كلها كلهـا ، الانـاسي والانـ ـعام والطير، والرؤى، والطيوف
والجمادات ، والبهائم ، والامـ ـلاك ، والجن، والصدى والحفيف
والاماثيل ، والعناصـر ، والاز مان ، والقفر ، والمكان الاليف
والسنا، والظلال، والصوت والـ ـفكرة، والحس، والهوى الملهوف
كلهـا تضمن الصـلاة وتبديها صنوفا تمتـاز عنهـا صنـوف
قوما بالخشوع للواحـد الفـر د الـوفـا تبزهـن الـوف
فجموع منهـا تـواثب سـرا وجموع على الحيـاة تطـوف
غير أنا لا نفقه الحمـد والتسـ ـبيح منهـا ، لاننا غير أهـل

●

صـل يانفس للذي فطر الاكـ وان، والناس، واعبديه بـذل
واطلبي الروح والضمير حيـاة فشـرار النفوس مـن لا تصلي

محمد حسن عواد

رئيس نادي جدة الادبي

اللغة عنصر من عناصر الاستقلال الثقافي

محاضرة (*) الاستاذ ميشيل بروغيير

أرجو أن تقبلوا اعتذاري لمخاطبتكم بلغتي وليس باللغة العربيـــة ، التي أتمنى معرفتها . ولكن كما تدركون ، لم أرغب في استعمال لغة اتصال ، ليست بالفرنسية أو بالعربية ، كاللغة الانجليزية مثلا . وهذا ما يتعارض بالفعل ، مع مراعاة الموضوع الذي سأعالجه مع مبادىء السياسة الفرنسية .

ولسوء الحظ أن القادرين على التعبير بالفرنسية والعربية قليلون جدا باستثناء الشعب الجزائري والمغربي والتونسي والموريتاني واللبناني . انه من المؤسف جدا ، لان الاتصالات المباشرة والسهلة بين الناطقين بالفرنسية والناطقين بالعربية ستكون بالتأكيد على أهمية كبيرة في جميع الميادين من الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية. وبهذه القناعة جئت بكل سرور ملبيا دعوة حكومة الكويت للتحدث عن سياسة فرنسا اللغوية .

وأرجو أن تحظى محاضرتي هذه بعنايتكم ، وأن تبدو بعض الوسائل التي اتبعت في فرنسا منذ عشرات السنين لاجل تحديث ونشر اللغة الفرنسية ، صالحة للاستعمال فيما يتعلق باللغة العربية .

وان نقطة الانطلاق للسياسة اللغوية الفرنسية قد بدأت في عام ١٩٦٦ وذلك بانشاء اللجنة العليا للغة الفرنسية ، تنفيذا للمرسوم الذي وقعه الجنرال ديغول والسيد بومبيدو وكان أنذاك رئيسا للوزراء. ومذ عشرة أعوام وهذه اللجنة العليا ، المؤلفة من حوالي عشرين شخصية ويرئسها على التوالي رؤساء الوزارات ، تلعب دورا هاما في تعميق السياسة الفرنسية في المجال اللغوي .

وترتكز هذه السياسة اللغوية على عدة حقائق :

١ ــ ان الفرنسية لغة ثقافة قديمة وحضارة رفيعة ولكنها في العالم العصري ، عرضة لان تصبح تدريجيا مقتصرة على جوانبها الكلاسيكية والقديمة وان تصبح شيئا فشيئا مثل الاغريقية واللاتينية لغة غير قادرة على التعبير عن الحقائق العصرية .

٢ ــ ان الفرنسية ليست لغة فرنسا فقط . بل هي لغة البلدان الناطقة بالفرنسية ، أي ما يقارب الثلاثين دولة ، موزعة على القارات الخمس وتمثل جميع مستويات التنمية الصناعية وجميع الاعراق وجميع الانظمة السياسية . وانه بضم هذه الدول

(*) ألقيت في الكويت وعربتها مجلة ((البيان)) الكويتية

فقط وبتعويدها على التفكير معا بمصالحها المشتركة ، تستطيع اللغة الفرنسية أن تحافظ على دورها الدولي، وفي هيئة الامم المتحدة وفي مجموع المنظمات العالمية .

٣ – وأخيرا انه من غير المجدي الدفاع عن الفرنسية ، اذا كان الفرنسيون أو الناطقون بالفرنسية، في الوقت نفسه ، يجهلون أو يحتقرون اللغات الكبيرة الاخرى في العالم . وغالبا ، وبسبب الاتفاقيات الدولية فان الدول تتطلب بعض التبادل في تعليم لغاتها ، وكان يجب على الناطقين بالفرنسية أن يعدلوا عن الاسطورة التي تفترض وجود لغة أو لغتين دوليتين فقط ، أن يقبلوا اعتبار العالم كما هو ، في تنوعه وثروته اللغوية .

هذه المتطلبات الثلاثة الاساسية حددت السياسة التي نصحت بها اللجنة العليا واتبعتها الحكومة .

وسوف اتناول تباعا هذه الجوانب الرئيسية :

أولا : تقوية المجموعة الناطقة بالفرنسية :

لقد تم عقد علاقات سياسية واتفاقيات للتعاون الثقافي ليس بين فرنسا والمستعمرات القديمة في افريقيا فحسب ، بل مع بلجيكا وكندا وكوبيك على الأخص ،

وتم مع المستعمرات البلجيكية القديمة التي نالت استقلالها (زائيري – راوندا – بوروندي) ومع المستعمرات الانكليزية القديمة التي استقلت والتي تتكلم الفرنسية (جزر موريس والسيشل) وبدون ان يكون لفرنسا اي تدخل ، أبرمت هذه الدول المختلفة ، فيما بينها وتدريجيا ، اتفاقيات تعاون ثنائية : بين بلجيكا وكندا ، بين كندا وهايتي ... الخ . وقد شجعت هذه الاعمال الدبلوماسية التبادل الواسع بين الاساتذة والكتب والبث الاذاعي والتلفزيوني وسأذكر اضافة الى ذلك بعض الامثلة الواقعية لهذا التعاون :

– جماعة الاذاعة والتلفزيون لبرامج اللغة الفرنسية ، شجعت على تبادل البث الاذاعي او التلفزيوني وتنظم أيضا برامج للبث المشترك ، تذاع في مجموع الدول الناطقة بالفرنسية في الوقت ذاته .

– رابطة الجامعات التي تدرس بالفرنسية جزئيا أو كليا . ومقرها في مونتريال ، واذكر أن ممثليها ، قد اتوا مرارا الى البلدان العربية .

– شكلت في عام ١٩٧٠ في مؤتمر نيامي وكالة التعاون الثقافي والتقني ، وهي تسعى بفضل المساهمات المقدمة من الدول الغنية الناطقة بالفرنسية، لتسهيل تنمية الدول الفقيرة الناطقة بالفرنسية .

– رابطة البرلمانيين الناطقة بالفرنسية ، تضم ، كما يدل على ذلك اسمها ، قادة سياسيين . وقد عقدت مؤخرا مجلسا بكامل هيئته في مقر هيئة الامم المتحدة في نيويورك ، وهذا كان من شأنه ان يدعم الدور الدولي الذي تلعبه لغتنا في هذه المنظمة .

– الاجتماع الدائم لوزارة التربية ووزارة الشبيبة والالعاب الرياضية في البلدان الناطقة بالفرنسية ، ومقرها في داكار .

وقد اقيمت عدة عمليات أخرى مخصصة لدعم الروابط بين بلدين ، او تركيز جهود النطق بالفرنسية على واحدة منها وفي الحالة الاولى ، اذكر تأسيس المكتب الفرنسي – الكويبكي للشبيبة الذي سمح منذ ١٩٦٨ ، لالاف الشباب من أصل فرنسي او كيوبيكي ان يعبروا الاطلسي وأن يكشفوا في لغتهم الام ، نمط حياة مختلفة تماما . وفي الحالة الثانية ، أذكر العملية التي نظمتها الامم المتحدة ، في ولاية لوزيانا : حيث يقوم مئات الاساتذة الفرنسيين والبلجيكيين والكنديين والافريقيين بتعليم الفرنسية لمواطنين امريكيين يافعين من اصل فرنسي بعيد بغية تحويل لوزيانا ، حسب رغبة حكامها الى ولاية مزدوجة اللغة .

ما زال امامنا الكثير للعمل في هذا المجال ولكنه مما يلفت النظر ، ان نتبين ان الحركة التي اطلقتها السلطات العامة قد نابت عنها فئة كبيرة من المواطنين ، ليواصلوا المهمة في اطار مسؤولياتهم المهنية : كالاطباء من مختلف الاختصاصات ، ووكلاء سفريات ،والكتاب، والصحفيين ، فهؤلاء قد أسسوا رابطات مهنية جامعة للغة الفرنسية تجتمع بالتناوب في احدى البلدان المعنية. وهذه الحركة لن تلبث ان تتوسع نظرا لحب الاسفار الذي نلاحظه في العالم الحالي . ولكن فيما عدا متعة الاسفار ، فان هذا التبادل يثمر بشكل متزايد في

مجالات تطبيقية في التعاون الدولي . وبالامكان اذن أن نعتبر ان فكرة التحدث بالفرنسية قطعت مسيرتها منذ عشر سنوات ، وانها في معظم البلدان المعنية . قد اصبحت حقيقة ماثلة في أذهان المواطنين المسؤولين : وهي توأم المدن ، وتبادل المراسلات بين المدارس التي تتضاعف ،وهذا ما يتيح لكل واحد الخروج من عزلته الجغرافية أو النفسية ، وان يتصل مع أجواء بعيدة ومختلفة في نطاق لغته الام .

ثانيا : تحديث اللغة الفرنسية :

انه من غير المجدي تعزيز العلاقات بين الدول الناطقة بالفرنسية ، اذا لجأت هذه الدول تدريجيا الى لغة اخرى ، الى الانكليزية مثلا ، في تبادلها ، العلمي ، والصناعي ، والتجاري ، وبشكل عام ، في كل ما يمس حياة القرن العشرين ، وقد أنجز عمل ضخم عام ١٩٦٧ ، وهو تاريخ انشاء المجلس الدولي للغة الفرنسية، يترأسه بلجيكي ، ومقره في باريس . ويتكون هذا العمل من :

أ ــ انشاء مؤسسات لغوية قوية في الدول الصناعية المتقدمة (كندا ، كيوبك ، فرنسا) ومنها : ادارة اللغة الفرنسية في كيوبك ، المكتب الفيدرالي للترجمة في اوتاوا في الجمعية الفرنسية للمصطلحات في باريس . ان مهمة هذه المؤسسات المختلفة التي تعمل في تعاون صميم ، متشابهة ، وهي ترجمة الكلمات الجديدة الى الفرنسية في كيوبك ، المكتب الفيدرالي للترجمة في وتشير هذه الى الحقائق التقنية او الصناعية الجديدة ، ونشر هذه الكلمات الجديدة في مجموعة العالم الناطق بالفرنسية ، لتخزينها في الحاسبات الالكترونية التي تعتبر حقا بنوك البيانات اللغوية . والاتصال بين هذه الحاسبات المختلفة ما زال قيد الدراسة . وتهدف هذه الدراسة التي ستنتهي في خلال عام او عامين ، الى تجنب اللجوء الى لغة اجنبية لتعريف المخترعات العصرية أيا كان نوعها .

وهذا العمل ليس بالسهل : فقد استدعى الامر عقد عدة جلسات لايجاد مرادف للكلمات الامريكية « سوفتوير » أي برامج « هاردوير » أي آلات . والكلمات التي تم التوصل اليهامؤخراهي « logiciel » أي « سوفتوير » « Materiel » أي « هاردوير » ، وقد تم قبولها الان في الولايات المتحدة حيث يتكلم العلماء عن Logisties بقدر ما يتكلمون عن « سوفتوير » .

ب ــ وما أن يتم تعريف هذه الكلمات ، يجب اللجوء الى السلطة التشريعية او التنظيمية لتقرير استعمالها . ولهذا فقد نشرت قرارات للمصطلحات في الجريدة الرسمية لكل وزارة من الوزارات الفنية ، تشير الى الكلمة الفرنسية الصحيحة وتفرض استعمالها على مختلف الادارات . فالقانون المؤرخ في ٣١ ديسمبر ١٩٧٥ ، المتعلق باستعمال اللغة الفرنسية ، قد منع منذ صدوره استعمال لغة اجنبية اخرى في الدعاية والبيع ووضع الفواتير وفي ضمان اي مال من الاموال ، او على الاقل جعل استعمال الفرنسية اجباريا . وقد اعتاد عدد كبير من الصناعيين الامريكيين والانكليز والالمان واليابانيين ان يبيعوا في فرنسا من غير أن يكلفوا انفسهم أي عناء في مخاطبة الفرنسيين بالفرنسية واضطروا ان يعيدوا النظر في اعلاناتهم وفي وثائقهم الدعائية وحتى في جزء من منتوجاتهم ، لكي تتفق مع متطلبات القانون الجديد . والامر لا يعتبر ، بالتأكيد ، من قبيل تدبير لحماية اللغة فحسب ، بل هو ايضا تدبير لحماية المستهلك الذي تقبل هذا بسهولة ، ولاقى قبولا عند الشعب . وهناك قانون مماثل في كندا والسنغال ، وتدرس بلجيكا امكانية اصدار قانون مماثل .

وهذا العمل المستمر لتحديث اللغة يفترض ، بالتأكيد امكانيات مادية كبيرة وكثيرا من الاقناع السياسي . ولكن المخاطرة الاقتصادية واضحة جدا وهي أن نجنب الانتاج الوطني ، وتحت تأثير لغة اجنبية

او اكثر ، ان يكون فريسة للمنافسة في ارضه بالذات ويضطر للتنكر ليظهر بالمظهر العصري .

ثالثا : التنوع في تعليم اللغات :

قد يبدو كل ما ورد سابقا مطبوعا بطابع الوطنية والتزمت ومحبة الدفاع لولا ان الامر يتعلق ، بالفعل ، بالتأكيد على الحق الثابت القويم لجميع اللغات الدولية الكبرى ، وبالاخص وليس حصرا باللغة الفرنسية ، في الحياة والتنمية . ولكنه في الوقت نفسه شجعت فرنسا تعليم اللغات الاجنبية وعملت على تنميتها وخصوصا في نطاق التعليم والتجارة .

١ ـ في مجال التعليم ، فان فرنسا ، هي الدولة الوحيدة في اوروبا ، التي تقدم تنوعا كبيرا في اللغات لطلاب الثانوية العامة (١٣ في المجموع) وان كانت الانكيزية تحتل مكانا بارزا فانها ، من جهة اخرى لا تتناسب مع مصالحنا الحقيقية لتجارتنا وصناعتنا ، وكذلك فان الالمانية ، والاسبانية والبرتغالية والايطالية والروسية والعربية ، وبانتظار الصينية واليابانية ، تدرس في معظم مدن فرنسا الكبيرة .

٢ ـ اما في مجال التجارة فان الحكومة تحاول اقناع الصناعيين أنه من مصلحتهم معرفة لغة عملائهم . وهذا قانون تجاري اساسي ، قام الالمان بتطبيقه منذ زمن بعيد حتى الولايات المتحدة ذاتها تطبق هذا القانون اذا اضطرت الى ذلك .

وفي الوقت نفسه ، نلاحظ مجهودا مماثلا لدى بعض شركائنا التجاريين . فقد ظهرت مؤخرا حملة دعائية في السويد تناشد بالآتي : الانكليزي لم يعد كافيا ، أن جهل الفرنسية يجعل الصناعة السويدية تخسر المليارات . وسوف يخضع ٢٠٠٠ موظف من كوادر الاقتصاد السويدي الى التدريب على الفرنسية العملية التقنية .

وفي هونج كونج يقوم ١٠٫٠٠٠ صيني الى جانب اتقانهم الصينية والانكليزية باتباع دورات في اللغة الفرنسية في مدرسة الاليانس الفرنسية .

والواقع أنه من الجلي أنه مهما كان للخدمات التي تتم باستعمال الانكليزية السطحية تقريبا ، فان اللغات الاخرى الكبيرة مصممة على البقاء وان المنافسة التجارية تنمو في العالم اكثر فاكثر وتجعل من الضروري على المرء ان يتكلم الى جانب لغته الام ، لغتين اخريين على الاقل . هذه هي الاهتمامات اللغوية للحكومة الفرنسية ويجدر بنا ان نضيف اليها بالطبع الاهتمامات التقليدية والضرورية دائما لوزارة الخارجية او بالفرنسية او تعرفها على الانتاج الادبي والعلمي والفني المؤسسات الخاصة في العالم كله التي تقدم تعليما في فرنسا المعاصرة .

وكما ترون ، فان الكثير من مشاغلنا تهم ايضا بلدان اللغة العربية . وهناك العديد من المنظمات الثقافية تحت رعاية الجامعة العربية ، مماثلة للمنظمات الناطقة بالفرنسية . ومما لا شك فيه أنه من الضروري أيضا أن نؤمن الازدهار الكامل للفتكم في المجالات الحديثة ، وتأكيد نشر مصطلحاتكم العلمية ومفرداتكم الجديدة بشكل سريع وتنمية تعليم اللغات الاجنبية الكبيرة في الدول العربية . فان المصلحة الثقافية والاقتصادية جلية ولن اصر عليها . ولكنني اصر على التنويه على الاهمية السياسية فيما يتعلق باللغات . وبالفعل يمكننا ان نعتبر كل لغة كبيرة كفرد من الافراد « حر » ومسؤول وغني بماض تاريخي وبمستقبل مبشر . يجب على هذه اللغات أن تتعاون فيما بينها كالإفراد ، بدلا من أن تتجاهل وتزدري بعضها بعضا . وعليها أن تقيم فيما بينها كالافراد علاقات ودية ومباشرة ، وعوضا عن أن تتخذ لغات سيدة عليها تتولى التفكير نيابة عنها . ويجب على لغاتنا ، وهي التي شكلت احساس كل واحد منا ، ان تستمر دون أن تصاب بتشويه أو فساد أو غموض ، في التعبير عن الحقائق العصرية . هذا هو ثمن استقلال وكرامة كل انسان وكل شعب وكل لغة .

● **ميشيل بروغيير**

مصطفى الحشّ

قصّة

في الطريق الى بيروت

الطريق الى بلدته طويلة وملتوية . الريح تعصف في داخله ، كالبحر تتقاذفه الامواج بالمد والجزر . قلبه يتلفت الى ما وراء ، وعيناه شاخصتان الى الامام .. تجلبب بالغبطة قبل ان يهبط من السيارة . قذف بنفسه الى داخل المنزل . وقعت عيناه على أمه ، وهي تصلي . ترعش . الصلاة مؤشر الرفض . وبفارغ الصبر جلس قبالتها ، كالعدسة اللاقطة . همس بتعاظم :

فرغت من الصلاة ، وهي الآن ترفع أكف الضراعة . الدعاء من أجلي .

ركع امامها . حنت عليه وضمته الى صدرها . انفاسها كالنار ، تشوي عظامه ... تفلت منها ، كغزال مذعور . نبهته ان الابن لا يتكبر على والدته . كطفل يهم بالرضاع . حنت عليه ثانية واشبعته بالقبلات . وبدموع الفرح :

ـ مبروك نجاحك والحمد لله على السلامة .

تلعثم بالجواب . ان له حاجة يروم قضاءها . دق ناقوس الخطر في ميزان حدسها . الحدس عند المرأة يغلب الرجل . في سيماء وجهه شحوب طفيف . الشحوب دليل الحيرة . سلطت عليه انوارا كاشفة :

ـ الشباب يبني مستقبله اولا

ثم مزجت الجد بالهزل ، لتسرى عنه :

ـ مستقبلك مضمون . وبنت عمك بالانتظار

انتفض كديك ذبح لتوه . فقاطعها بتحد :

ـ دعيني وشأني

سبحت عيناها في عينيه لتغوص فيهما . وكمن اطمأنت الى أن الاعتراف اصبح قاب قوسين أو ادنى :

ـ المحب تفضحه عيناه

لم يفته انها أصابت منه مقتلا . ولكنه داوى جرحه وتخابث بالسؤال :

ـ أهما اشارة المرور ؟

أجهزت عليه بالكلام الفصل

– عيناك حمراوان . الخطر آت من بعيد !

تنفس بصعوبة ، كفرس أعياها طول الركض . استقل قارب النجاة فأرخى ثقله عليها . اشتعل الحنان في عروقها فحسبت أن ثدييها قد امتلأا بالحليب . عبثت أناملها بخصلات شعره وهدهدته كحيوان صغير ثم زرقته ابرة الاعتراف :

– الام مستودع سر البنين

تسربل بالسكينة . المقدمة ناجحة ولا بد من الخوض في الموضوع . نحف صوته ليخفف من وقع الخبر

– أحببت فتاة من غير ديني ، والداها اطلعا على صورتكما – أنت ووالدي – وهما على موعد معكما .

فجأة ، انقشعت غيوم الخوف ، كسحابة صيف ، – فرخ البط عوام

شعر ، كمن يريد أن يصاول ، عندما باغتته بالسؤال :

– وكيف سمحت لنفسك أن تبرز صورتي أمام الاغيار ؟

أطلق ضحكة مجلجلة

– صورتك مظلتي الواقية :

واستطرد بحماس :

– تلقفتها الارملة العجوز وضمتها الى صدرها . طفرت الدمعة من عينيها وهي تظهرها الى ابنها .

استقرت الصورة في يده طويلا ، وقد ران عليه الاسى فخشيت العاقبة ولكنه عقب بارتياح :

– العجيب انك شبه لي كما أن سلوى شبيهة بوالدتك

وبعد أن أثنت العجوز على كلامه ، صعقني بالسؤال :

– أرى أمك تلبس المنديل الابيض !

تلطفت معه لكيلا أجرح شعوره

– المنديل الابيض شارة التدين . أو يضيرك هذا يا عماه ؟

رسمت الجدة علامة الصليب على صدرها ، بينما عبر ابنها عن قناعته :

– التدين مقبول والتعصب مرفوض

وأضاف ، لكي يطرد عني الوساوس :

– « الشيء من معدنه لا يستغرب » . ولا أشك أن والدتك من الفضليات لانها أحسنت تربيتك .

تبخترت كالطاووس . أفحمته ببقايا من لباقتك المعهودة :

– « الفضل لا يعرفه الا ذووه »

★ ★

سقط قلب الام من الضحك . نبت الورد في خديها . وبسهولة سير السكين في الزبدة ، نزعت المنديل الابيض من على رأسها ، وقد راقها الحديث فأرادت منه المزيد . سلك سبيل الخشونة :

– لا تتندرى بهم ... لو أن واحدة غير والدتي لحددت موقفي منها

صفقت بيديها ، في ايقاع رتيب :

– بطل ... ابني بطل

هم بالخروج فتشبثت بأذيال بنطاله ، وبلغة الآمر :

– لا تتعب نفسك وتتعبني .

أطرق يتلو قصته ، كتلميذ حفظ دروسه عن ظهر قلب :

– اصطفيت زميلا لي في الدراسة . دعاني الى بيته . الاسرة مؤلفة من جدته لابيه ووالديه وشقيقته سلوى . شملوني بالرعاية . بت أدرس وأتناول طعامي كواحد منهم . توثقت الالفة فلم أشعر بالغربة معهم

العجوز شبيهة بك في ضحكتها وحركاتها وحتى في طهي الطعام ...

تدير الحديث لتأتي على ذكرك ، وتطيب نفسا عندما أكيل لك المديح ، فتهتف من أعماق قلبها :

– ليتك تأتي بها الينا لنتعرف عليها .

وكم مرة انسابت الدموع على خديها . وما اسرع ما كانت تخفيها عني ، لتمسحها بمنشفة لا تفارقها وأكاد أجزم انها تحبني اكثر من حفيديها : تستقبلني بحفاوة اكثر وتضمني الى صدرها بحرارة ، وتسهر على دروسي ، وتعنفني ان تأخرت . ولا تقبل أن أترك البيت من غير طعام . وأبدا ما كانت تناديني الا ب « عين ستك » .

تهلل وجه الام في سعادة شاملة . مدت رجليها وفركت أصابعهما بيديها . وبفضول نهم .

– أو لم ينجح زميلك .

– بلى لقد نجح ايضا والزغاريد اطلقت لكلينا .

وفي حفلة العشاء الكبرى جهرت الجدة بالخطوبة . وشجعتني أن أقبل سلوى أمام الحاضرين وأحنى والداها رأسيهما بالقبول .

شخصت ببصرها وأرهفت أذنيها :

– وهل قبلتها ؟

– نعم ، وباستحياء شديد لاول مرة

خيم الصمت برهة ولكنها هتكت حجابه بعد أن قطبت حاجبيها .

– واذن فنحن ازاء الامر الواقع

خشي أن يكون قد طعنها في الصميم فركع بين قدميها متوسلا

– علمتني أن أكون برا بالوالدين . فان وافقتما نجوت والا كنت من الهالكين .

كركرت خاصرتيه ضاحكة :

– ما ربيناك لنبكي عليك وانما لنفرح بك .

تنهد كدابة أفلت عنها رحلها :

– الخوف منك قد زال لانك متدينة . والدي غير متعصب . سمعته مرة يقول : الحب خلق قبل الاديان ولا يفرق بينها .

وبلهجة فيها تأنيب وعذوبة :

– التعصب شيء ... والتدين شيء آخر . فلا تخلط بينهما .

★ ★

استعجل والده السفر . عينا أمه لم تناما ، كسمكة في الماء . الهدايا متنوعة ، فيها كثير من المؤونة . طفحت الوجوه بالبشر عندما استقلوا السيارة . والده بحذاء السائق . هو ووالدته في المؤخرة . أبقت المنديل الابيض فوق رأسها ولكنها تزينت بأبهى حلة . تورد خداها فبدت كعروس ، وقت زفافها .

في أرض السحر ، ترامى البحر ، يمينا ، في زرقة صافية حتى الافق ، وطاولت الجبال الخضر ، يسارا ، بأعناقها السماء حيث الغيوم كقطعان مبعثرة . متع ناظريه في جنبات هذا المشهد الجميل . سمع وجيب قلبه عندما أطل على بيروت . أبدا لم تكن بيروت بمثل هذا الجمال ! أشعة الشمس أضفت على المنازل نورا زاهيا .

ود لو تطير به السيارة . مزامير السيارات وضجيجها لم تصك أذنيه . اجتاحته كبرياء عمياء ، في قلب ذكرياته المبللة بالشهد . أرخى عينيه في تسليم لخدر أحلامه . جفل أكثر من مرة ، لتوقف السيارة ، طبقا لمتطلبات نظام المرور .

غلبه الانفعال . والده دل السائق على مكان البيت المقصود . عقلت الدهشة لسانه . حملق بعينيه : ترجلت والدته وتبعها والده . دخلا البيت بغير استئذان . نفذ الى شغاف قلبه صوت أمه ، وهي تنادي بأرق نداء :

– أمي ، يا حبيبتي

زال الشك باليقين . جن الفرح . واختلط العناق بالدموع . شنف أذنيه بزغاريد حبيبته مدت له ذراعيها مهللة . انقض عليها انقضاض الباشق للعصفور . صاح وسط هذه المفاجأة .

– الآن أدركت لماذا لم أكن غريبا بينكم !...

● **مصياف – مصطفى الخش**

ملاك في الأرض..

محمد حسن فقي

ضعي كفيك فوق الرأس   فوق السمع والبصر !
لاصبح فوق كل الناس   فوق البدو .. والحضر !
وأمشي فوق هام السحب   فوق الريح والمطر !
ولا احفل بالاضغان   والاسواء .. والخطر !
وكيف .. وأنت راعيتي   فلا أطوى على كدر ؟ !

★ ★

فما الاشجان ان واليت   الا عزف قيثار ؟!
وما الارزاء ان واسيت   الا نفح أعطار
وما نثري .. ولا شعري   ولا حسي وافكاري !
اذا هي لم تكن تعنيك   الا سخر أقدار !
جعلت جليدها لهبا   يضيء الدرب للساري !

★ ★

لقد يعجب بعض الناس   من قولي . وما يدري
ولا يشعر بالرفعة   والعصمة .. والطهر !
فلا أنت بحواء التي   تفتن بالثغر !
وبالعين التي تنفث   بالفتنة والسحر !
وبالصدر وكنزيه   وبالقامة والخصر ..!

★ ★

بلى .. فلأنت كالفردوس   يحفل بالازاهير !
وبالثمرات ما امتنعت   علينا بالنواطير !
فكم رقصت به الغدران   من شدو الشحارير !
شهدنا منه ما يسخر   حتى بالاساطير !
اذا فكر فيه الناس   أرضتهم معاذيري !

فقل للغيد .. ما هذي ... بدنيانا سوى ملك !
حماها الله من شرك ... علقن به .. ومن درك !
وبوأها مكان البدر ... يخرجنا من الحلك !
لها فلك يدور بها ... وليس لهن من فلك !
فأين اللهو تطوينا ... مباذله .. من النسك ؟!

★ ★

وكم لله من آلاء ... يسبغها على الناس !
وقد نالت من الآلاء ... ما يطفح بالكأس !
فما بطرت بتفكير ... ولا بطرت باحساس !
أراها تارة .. كالورد ... كالنسرين .. كالآس
وأخرى ما ترى عيناي ... الا الجبل الراسي !

★ ★

أناجيها فتبهرني ... كما يبهر لقمان !
وقد يبهرنا كالحسن ... بل أكثر .. تبيان !
لأنت على كمال العقل ... والفتنة .. برهان !
وقد يسمو على الاملاك ... حين يشف .. انسان !
أعندك خاتم قد كان ... يملكه سليمان ؟!

★ ★

تبارك من اذا ما شاء ... عاد خسارنا ربحا !
وعاد الليل ذو الاسداف ... في أبصارنا صبحا !
وعاد الكوخ .. وهو يدب ... في أسماله صرحا !
وأكرمنا بهذا الحسن ... يستشفى به الجرحى !
لئن أوسعته ذكرا ... فما أوسعته مدحا ...!

الرياض : محمد حسن فقي ●

آراء إبن سلام في انتحال الشعر

فهد بن علي بن محمد النفيسة

لا تخفى على أي مهتم بالادب تلك المعارك الحامية الوطيس ، التي ثارت على أيدي طائفة من الادباء المعاصرين منذ أمد ليس ببعيد حول الشعر الجاهلي :أهو صحيح النسبة الى من نسب اليهم ؟. أم هو منتحل وضع في عصور اسلامية ، ونسب زورا الى عصور سابقة للاسلام ؟

وليس من مقامنا هذا تفصيل القول في تلك المعارك الادبية ، ولكننا نعرض هنا لمسألة لها صلة بتلك المعارك وهي آراء ابن سلام الجمحي في تلك القضية ، أعني انتحال الشعر الجاهلي . فقد كانت هذه الآراء ، التي بثها ابن سلام في كتابه (طبقات فحول الشعراء) ، ذات دور بارز في المعارك الحديثة التي ثارت حول تلك القضية .

التعريف بابن سلام

يجدر بنا هنا أن نعرف بابن سلام الجمحي ، قبل أن نمضي في دراسة آرائه فنقول :

هو محمد بن سلام الجمحي ، أحد الاخباريين والرواة ، وعالم من علماء أواخر القرن الثاني من الهجرة وأوائل القرن الثالث ، ويعد في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين ، كما يعد من أقدم نقاد الشعر العربي الذين فتحوا باب النقد فيه واسعا على مصراعيه ، وله كتاب (طبقات فحول الشعراء) بث فيه جميع آرائه النقدية ، وقد توفي سنة ٢٣١ هـ .

اشارات ابن سلام الى الانتحال

اذا تتبعنا اشارات ابن سلام الى الانتحال في كتابه (طبقات فحول الشعراء) ، وجدنا تلك الاشارات على نوعين :

نوع يشير فيه الى الانتحال صراحة بلفظه هو ، ومن هذا قوله :

((وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف . وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ، ولم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ..))

ونوع آخر يشير فيه الى الانتحال بما يسوقه من أخبار المتقدمين المعاصرين له أو حكاياتهم أو أقوالهم . ومن هذا النوع قوله :

((قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز – وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله – بأي شيء ترد هذه الاشعار التي تروى ، قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ، قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ، قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت))

ففي المثال الاول نجد ابن سلام ، يتحدث بلسانه هو عن انتحال الشعر ذاكرا أن منه ما هو مصنوع موضوع ساقط ، لا خير فيه . فهو هنا لا يذكر لنا رأي عالم ولا رواية أخباري ولكنه يذكر لنا رأيه هو وحكمه في الشعر المسموع .

أما في المثال الثاني فابن سلام يروي لنا محاورة جرت بين خلاد الباهلي وخلف الاحمر ، يسأل فيها خلاد خلفا عن حجته في انكار بعض الشعر ، فيجيب خلف خلادا على سؤاله باجابة مرضية . ونحن نستنتج من

هذه المحاورة أن في الشعر ما هو مصنوع مردود ، دون أن يحدثنا عن ذلك ابن سلام هنا .

أحكام ابن سلام حول الانتحال

اذا عدنا وتأملنا اشارات ابن سلام الى الانتحال، ألفيناه يطلق أحكامه بالانتحال على ثلاثة أساليب :

أسلوب يعمم فيه فيطلق القول اطلاقا دون أن يخصصه بشاعر أو شعر . ومن هذا ما ذكرناه من قوله : (وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع ...)...الخ. ومنه أيضا قوله :

« فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار التي قيلت .. الخ » .

فأنت ترى معي أن أحكام ابن سلام في هذه الاقوال مرسلة ، لا تكاد تفهم منها الا أن هناك انتحالا في الشعر مصدره القبائل أو الرواة .

والاسلوب الثاني يخصص فيه من جانب ولا يخصص فيه من جانب آخر . ومنه قوله عن عدي بن زيد :

« كان يسكن الحيرة ويراكن الريف ، فلان لسانه، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد ، واضطراب فيه خلف، وخلط فيه المفضل فأكثر » .

فأنت تجد في هذا المثال أن ابن سلام قد حكم بوجود الانتحال في شعر عدي بن زيد ، ولكنه لم يحدد لك شيئا من شعر عدي وقع فيه الانتحال ، فهو قد خصص الحكم من جانب ، وأرسله من جانب آخر ، حيث خصص الشاعر ولم يخصص الشعر .

ويلحق بهذا الاسلوب أسلوب مخصص، وهو أشبه ما يكون بالمعمم كحديثه عن ابن اسحاق ، وما نقله من الشعر في السيرة النبوية . قال عنه :

« وكان ممن أفسد الشعر ، وهجنه ، وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحاق بن يسار .. » الى أن قال : (فكتب في السير أشعار الرجال ، الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم شعرا كثيرا ، وليس بشعر انما هو كلام مؤلف معقود بقواف ..)

فالحكم بالانتحال في هذا المثال يختص بما جاء من الشعر في السيرة النبوية التي دونها ابن اسحاق ، ولا يختص بشيء دون سواه من ذلك الشعر بل يتناوله عامة

والاسلوب الثالث يخصص فيه الشاعر والشعر ومنه البيتان اللذان أوردهما على أنهما مما حمل على لبيد ، وهما :

باتت تشكي الي النفس مجهشة
وقد حملتك سبعا بعد سبعين
فان تعيشي ثلاثا تبلغي أملا
وفي الثلاث وفاء للثمانين

ثم قال : (ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الاحاديث ، ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك لا تستقصي) .

فانظر الى هذا المثال تجده قد اختص بأبيات محدودة لشاعر معين على خلاف ما رأيناه في الامثلة السابقة .

هل ابن سلام أول من انتبه الى انتحال الشعر ؟

ليس هناك من شك في أن ابن سلام لم يكن أول من تنبه للانتحال في الشعر العربي ، فنحن نجد مثلا روايات عن أبي عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤ هـ) يذكر فيها الانتحال ومن ذلك ما أورده صاحب الاغاني من أن أبا عمرو بن العلاء ذكر أن ذا الاصبع العدواني قال يرثي قومه :

وليس المرء في شيء
من الابرام والنقض
اذا يفعل شيئا خا
له يقضي وما يقضي
جديد العيش ملبوس
وقد يوشك أن ينضي

وقد نص أبو عمرو على أنه لا يصح من هذه القصيدة الا ما ذكره ، أما سائرها فمنحول .

ففي هذا اشارة صحيحة من أبي عمرو الى انتحال الشعر .

ومن طبقة أبي عمرو الاخوان « عامر بن عبد الملك وأخوه مسمع » وهما عالمان راويان ثقتان ، ينكران

ما نسب الى الحارث بن عباد في القصيدة التي مطلعها :

قربا مربط النعامة مني
لقحت حرب وائل عن حيال

ولا يصح عندهما من هذه القصيدة الا هذا البيت وبيتان بعده ، هما :

لا بجير أغنى قتيلا ولا رهط
كليب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الله
واني بحرها اليوم صالي

وكذلك نجد الاصمعي (المتوفى سنة ٢١٦ هـ) له من الاشارات الى انتحال الشعر الشيء الكثير ، ولأبي عبيدة (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) نصيب في ذلك أيضا .

ومن هذا يمكن القول بأن ابن سلام لم يكن أسبق الرواة والعلماء الى الحديث عن الانتحال .

ما اختص به ابن سلام ..

اذا ثبت عندنا أن ابن سلام ليس أسبق الرواة والعلماء الى الحديث عن انتحال الشعر جد عندنا سؤال هو « بماذا اختص ابن سلام اذن في حديثه عن الانتحال وقد كفانا الاستاذ (طه أحمد ابراهيم) في كتابه (تاريخ النقد الادبي عند العرب جواب هذا السؤال ، حين أفرد بحثا خاصا لابن سلام وكتابه (طبقات فحول الشعراء) ثم قال معللا ذلك : (ونحن نفرد بحثا خاصا لابن سلام لا لأنه أتى بجديد غير ما أتى به سابقوه ومعاصروه ، ونخصه بالقول لانه خاض في الافكار التي خاض فيها غيره من اللغويين والرواة ، بل لأنه أول من نظم البحث في هذه الافكار ، وعرف كيف يعرضها ، ويبرهن عليها ، ويستنبط منها حقائق أدبية في كتابه طبقات الشعراء . شارك ابن سلام معاصريه في كثير من الافكار ، ولكنه محصها وحققها وأضاف اليها ، وصبغها بصبغة البحث العلمي ، وسلكها في كتاب خاص ، هو خلاصة ما قيل الى عهده في أشعار الجاهلية والاسلام ، فالفرق بينه وبين معاصريه كثير ، كثير لانه زاد على ما قالوا في النقد الفني ، وفي النظرات في الادب ، وكثير على الاخص ، لانه أودع كل المعارف في النقد كتابا لعله أسبق الكتب في ذلك . أودعها على طريقة العلماء وفي عرف منطقي قويم ، فهو بذلك من الذين أفسحوا ميادين النقد ، وهو بذلك أول المؤلفين فيه) .

وهذا الذي يقوله الاستاذ « طه أحمد ابراهيم » يشمل آراء ابن سلام كافة ويدخل فيه آراءه في انتحال الشعر . ونحن اذا أردنا أن نجيب على السؤال السابق بعد النظر في قول الاستاذ طه ابراهيم وبعد النظر في تاريخ قضية الانتحال جعلنا اجابتنا في جوانب ثلاثة هي :

الجانب الاول : ان كتاب ابن سلام (طبقات فحول الشعراء) الذي أودعه آراءه في الانتحال ، يعد من أقدم الكتب التي توافينا بآراء في قضية الانتحال . ولا نكاد نجد ما يشاركه في هذه الصفة الا كتبا قلة لا تبلغ من الوضوح في ذلك مبلغه . أما غالب الآراء القديمة في الانتحال فنجدها في كتب متأخرة عن ابن سلام ككتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ) ومن هنا يمكن القول بأن آراء ابن سلام في قضية الانتحال اختصت بقدمها .

الجانب الثاني : كثرة آراء ابن سلام وأقواله في تلك القضية واجتماعها في كتاب واحد . فهو ــ كما رأينا سابقا ــ يعرضها تارة بأقواله هو ، وتارة أخرى بحكاية أقوال الآخرين ، ومرة يخصصها ، ومرة أخرى يعممها ، ومرة ثالثة يبتغي بين ذلك سبيلا .

الجانب الثالث : وضوح تلك الاقوال والآراء وشدة صراحتها . فهو لا يزال يستخدم كل لفظ ، ويستعمل كل عبارة ، ليدلنا على الانتحال وينبهنا عليه . انظر اليه وهو يقول : (وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب .. الخ) ..

وبهذه الجوانب الثلاثة يمكن أن نقول : ان آراء ابن سلام في قضية الانتحال قد اختلفت عما سواها ، مما جعلها تعتمد فيما بعد كثيرا في الجدل حول تلك القضية .

أثر ابن سلام في معارك الانتحال

لما ثارت المعارك الادبية المعاصرة حول انتحال الشعر الجاهلي اعتمد القائلون بالانتحال ــ وعلى رأسهم طه

حسين – اعتمادا كبيرا على آراء المتقدمين من العلماء والرواة في تلك القضية ، فكان لآراء ابن سلام دور في ذلك لا يخفى . فقد اتخذ منها هؤلاء المنكرون للشعر الجاهلي أدلة قاطعة على صحة بعض ما يذهبون اليه أو انطلقوا منها الى آفاق جديدة في القضية حسبما يريدون

ومن ذلك انكار « طه حسين » لشعر « عمرو بن قميئة » فهو يستشهد عليه بقول ابن سلام : (ان بني أقيش تدعي بعض شعر امرىء القيس لعمرو بن قميئة وليس ذلك بشيء) ، ثم يقول معقبا على قول ابن سلام :

(وفي الحق أن هذا ليس بشيء ، فان هذا الشعر لايمكن أن يكون لعمرو بن قميئة كما لا يمكن أن يكون لامرىء القيس فهو محدث محمول) .

وكذلك يستفيد « طه حسين » من آراء ابن سلام عندما يعرض لانكار شعر الشاعرين « طرفة بن العبد » و « المتلمس » . وكذلك الحال في حديثه عن الاعشى ، ثم في حديثه عن « الشعر المضري والنحل » .

ولا يتسع المقام هنا لاحصاء المواضع التي استفاد فيها « طه حسين » وغيره من المعاصرين من آراء ابن سلام في الانتحال . ولكننا نرى فيما مثلنا به الكفاية للدلالة على الدور الذي قامت به تلك الآراء في قضية الانتحال في عصرنا الحاضر .

وفي العموم يمكننا القول أن آراء ابن سلام من أوضح الاشارات القديمة ، التي نبهت المتأخرين الى الانتحال في الشعر الجاهلي ، وافادتهم في بعض ماذهبوا اليه في تلك القضية .

تقويم آراء ابن سلام ..

لو وضعنا آراء ابن سلام في الانتحال في ميزان النقد الحديث لامكننا أن نلاحظ فيها الملاحظات التالية ، التي نحصل من جملتها على القيمة النقدية لتلك الآراء .

الملاحظة الاولى :

ان أكثر آراء ابن سلام في الانتحال ، قد جاءت واضحة الدلالة صريحة كقوله (وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع ... الخ) . وللصراحة والوضوح في الآراء قيمتها النقدية التي لا تخفى .

والملاحظة الثانية : ان من آراء ابن سلام ما قد جاء مرسلا مطلقا معمما . ومثل هذه الآراء ليست ذات قيمة كبيرة ، لان تعميم الرأي واطلاقه يبعده – غالبا – عن الحقيقة والواقع ، ويجعله اقرب للنقض والرد .

والملاحظة الثالثة : انه برغم التعميم في بعض آرائه نجد أكثر تلك الآراء المعممة لا تخلو من تعليل او تدليل ، مما يرفع قيمتها النقدية . كقوله : (فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومآثرها استقلت بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم واشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ...) . ففي هذا القول – زيادة على الاشارة الى وجود الانتحال – اشارة الى العلة التي أدت الى الانتحال .

والملاحظة الرابعة : ان من آرائه ما هو مخصص ومقيد بأمثلة . ومثل هذه الآراء ذات قيمة نقدية جيدة . ومنها حديثه عن البيتين السابقين اللذين حملا على لبيد .

والملاحظة الخامسة : انه برغم التعميم في بعض آرائه لا يمكن ان يؤخذ منها القول بالانتحال على نحو ما قاله المتأخرون كطه حسين و « مرجوليوث » . فنحن نجد ابن سلام يستدرك ، ويستثني في اكثر احكامه . فهو يقول : « وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع .. » الى أن يقول : « وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الاشياء . أما ما اتفقوا عليه فليس لاحد أن يخرج منه » . وفي هذا القول الاخير يقرر ان من الشعر ما اختلفت العلماء في انتحاله ، وأن اختلافهم هذا طبيعي كالاختلاف في سائر الاشياء ، وان من الشعر ما اتفق العلماء على صحته ، وهذا يلزم الجميع قبوله ، فلا يصح انكاره من احد ولا يليق به

والملاحظة السادسة : ان من آرائه في الانتحال ما هو مردود غير مأخوذ به .. ومن ذلك قوله عن حماد الراوية : « أخبرني ابو عبيدة عن يونس قال : قدم حماد البصرة على بلال بن ابي بردة – وهو عليها – فقال : ما أطرفني شيئا . فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة في مديح أبي موسى . فقال : ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به ، وأنا أروي شعر الحطيئة ، ولكن دعها تذهب في الناس » . ففي هذا النص القول بأن قصيدة الحطيئة التي يمدح فيها أبا موسى الاشعري منحولة ، نحلها حماد الراوية . وهو قول مردود على رده على ابن سلام (المدائني) وهو بصري من معاصري ابن سلام ، فقد ذكر : « ان الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى ، وانها صحيحة ، قالها فيه وقد جمع جيشا للغزو » . ودليل آخر على أن هذه القصيدة غير منحولة كون العلماء الذين جمعوا ديوان الحطيئة وشرحوه فيما بعد قد أثبتوها ولم يأخذوا بقول ابن سلام .

فهد بن علي بن محمد النفيسه

الدولة السعودية الأولى

في جنوب غرب الجزيرة

محمد بن أحمد العقيلي

(٢)

(*) نحن في عام ١٢١٣ هـ ١٨٩٨ م ، وامير المخلاف السليماني (منطقة جازان) ـ حاليا هو الامير (علي بن حيدر الخيراتي) ، والحالة قد بلغت النهاية من الفوضى واضطراب الامن ، وتفشي الجهالة والبدع ـ كما هي الحالة في اكثر انحاء جزيرتنا العربية ـ والاسرة الحاكمة (الخيراتية) ، قد انهكتها الاختلافات العائلية والمنازعات الشخصية ، على الامارة ، ففي خلال ثمانية وعشرين عاما ، تداول مركز الامارة ستة من افرادها اثني عشرة مرة ، اي بمعدل سنتين وثلث في المرة الواحدة ، والمنطقة موزعة الى شبه اقطاعيات بين بقية الاخوة الذين لم يرتقوا مركز الامارة ، ونجد احسنهم قسما ناصر بن محمد الذي منحها في سنة ١١٨٩ في عهد امارة عمه القصيرة الامد اذ لم تطل مدتها اكثر من سنة ، والآن قد اشرف على اعتاب الشيخوخة فتنحى عنها لابنه الشاب منصور بن ناصر .

في تلك السنة عاد من الدرعية احد ابناء المنطقة الداعية احمد بن حسين الفلقي الذي هاجر اليها لتلقي مبادىء التوحيد من منبع الدعوة السلفية ، عاد يحمل الرسالة التاريخية الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن محمد بن سعود الى من يراه من أهل المخلاف السليماني خصوصا ابناء الشريف محمد بن أحمد ، وبني وكافة أهل تهامة ، وفقنا الله واياهم الى الحق والهداية ، وجنبنا واياهم طريق الشرك والغوية .

أما بعد ، فالموجب لهذه الرسالة ، أن احمد بن حسين الفلقي قدم الينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه ، فبعد التمس منا ان نكتب لكم ما يزول به الاشتباه ، فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله تعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم ، على فترة من الرسل فهدى به الى الدين الكامل ، والشرع التام ، واعظم ذلك وأكبره وزبدته ، اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

(*) محاضرة القيت في قاعة المحاضرات في جامعة الرياض في ١٣٩٣/٣/٢٥ هـ .

وذلك الذي خلق الله الخلق لاجله ، ودل الكتاب على فضله ، كما قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ، وقال تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) واخلاص الدين هو اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وذلك بأن لا يدعى الا الله ولا يستغاث الا به ، ولا يذبح الا له ، ولا يخشى ولا يرجى سواه ، ولا يرغب الا فيما لديه ، ولا يتوكل في جميع الامور الا عليه ، وأن كل ما هنالك لله تعالى لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبي مرسل ، ولا شيء غيرهما وهذا هو بعينه توحيد الالوهية الذي أسس الاسلام عليه ، وانفرد به المسلم عن الكافر ، وهو معنى شهادة ان لا اله الا الله . ولما من الله علينا بمعرفة ذلك ، وعلمنا انه دين الاسلام اتبعناه ودعونا الناس اليه ، والا فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله ، من عبادة القبور والاستعانة بهم والتقرب بالذبح لهم ، وطلب الحاجات منهم ، مع ما ينضم الى ذلك من فعل الفواحش وارتكاب المحرمات ، وترك الصلاة وترك شعائر الدين ، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب أحسن الله له المآب ، فأبرز لنا ما هو الحق والصواب من كتاب الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

فتبين لنا أن الذي نحن عليه - وهو دين غالب الناس اليوم - من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ودعوتهم والتقرب اليهم بالذبح لهم والنذر لهم والاستغاثة بهم في الشدائد ، وطلب الحاجات منهم انه هو الشرك الاكبر الذي نهى الله عنه ، وتهدد بالوعيد الشديد عليه ، وأخبر في كتابه انه لا يغفره الا بالتوبة منه . قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

اذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله تعالى أن الدين الذي ندين لله به هو اخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك ، واقامة الصلاة جماعة ، وغير ذلك من أركان الاسلام ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يخفى على ذوي البصائر والافهام والمتدين من الانام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) .. فمن قبل هذا فهو حظه في الدنيا والآخرة ، ونعم الحظ دين الاسلام ، ومن أتى غيره واستكبر ، نحيناه عن ذلك وقاتلناه ، قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

وقصدنا بهذه النصيحة لكم ، والقيام بواجب الدعوة ، قال تعالى : (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين) . وصلى الله على محمد وسلم تسليما .

وصل الفلقي وسلم بالرسالة وانتظر النتيجة بدون جدوى ، بل لمس من الجفاء ما حفزه على الابتعاد ، وبعد اجالة الفكر رأى أن يقوم بواجب الدعوة الى الله بنفسه فسار الى جهة ساحل (الجعافرة) لان أهله - آنذاك - بدو قليلو الاختلاط بغيرهم ، ولديهم قبر لشخص يسمى أبي سبعة فتنهم الشيطان بالاعتقاد فيه تقدم اليه الذبائح والنذور ، ويعتقدون فيه الضرر والنفع مع دون الله تعالى .

فاستقر في قرية من قراهم تسمى (الاثلة) وأخذ في تعليمهم وارشادهم فأقبل الناس عليه وازداد التعلق به ، فكان يرسل الناجحين من طلابه مرشدين الى القرى التابعة لهم ، والقريبة منهم ومرت الايام فاذا الدعوة منتشرة في جميع قراهم بل وفي القرى القريبة منهم : الجمالة والجارة .

فسار الى قبر أبي سبعة وسواه بالارض ، وتبرع القوم بهدم ما لديهم من المزارات ، وترك الشرك والبدع ، فعمرت المساجد بالعبادة ، فلا تسمع الا تلاوة القرآن ودروس التوحيد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتآلفت القلوب بعد النفرة ، واجتمعت الكلمة بعد التفرقة ، فأجمع رأيهم على معاهدة الفلقي على العمل بكتاب الله وسنة رسوله والسمع والطاعة للامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وخلع طاعة الامير علي بن حيدر .

رفع عاملهم صاحب صبيا منصور بن ناصر الى ابن عمه الامير علي بن حيدر بواقعهم فوصله الامر بأن يرسل اليهم خراصا لثمرة الزراعة الحاصلة لديهم ، فان تركوا الخراص يقومون بواجبهم فذاك ، والا أقمنا الحجة عليهم بمنع الزكاة وقاتلناهم ، فبعث اليهم الخراص فأعادوهم اليه وقالوا لهم : ان زكاتنا ندفعها

الى امامنا في الدرعية بواسطة الفلقي . فكتب عامـل صبيا لأميره بذلك فوصله الامر بالتأهب . جمع الامير ما لديه من جنود أيام المرتزقة وكتب لعمـه حمـود بن محمد المقيم في اقطاعيته في وادي تعشر للاشتراك في الحملة بخيله ، وبوصوله اليه في مدينة أبي عريش خرج الامير الى غزو الجعافـرة وداعيتهم الفلقي وخيم في قرية الحجرين في غربي وادي صبيا ، وهناك وافـاه عامله على صبيا منصور بن ناصر مع شوكة أهل صبيا. علم الفلقي بدنو الحملة فنادى بالنفير في الجعافرة ومن دخلوا في الدعوة معهم وحدد مركز التجمـع في قـريـة البطيح فلم يتخلف أحد عن داعيه .

كان من الاصوب أن يظلوا في مركز تجمعهم الذي هو في وسط منطقة الدعوة ، فان تقدمت عليهم الحملة فستجد نفسها محاطة بقبائل الجعافرة من كل جانب، وانما حماسة العقيدة دفعهم الى التقدم نحو معسـكر الحملة .

وبطبيعة الحال لم يكن لدى الفلقي الاسـتعداد الكافي والقوة اللازمة لمهاجمة مثل تلك الحملة ، ولـم يكن قد مرت على الفلقي التجربة والخبرة القتالية التي تعينه على ادارة المعركة بالفوز ، والحملة يقودها أمير المنطقة ويساعده عمه حمود وكبار رجـال الاسرة ممن أتقنوا الفروسية وتمرسوا بالحروب ، وقد تقدمـوا الى المعركة بكل ما لديهم من قوة واستعداد نظرا لمـا يترتب على نجاحها من بقاء سلطتهم ونفوذهم العائلي ، ولعلمهم بما تشربته نفوس أهل الدعوة من قوة الايمان وصدق اليقين .

وصلت عيون الامير تخبره بتقدم القـوم على معسكره فاستعد للقاء وعبأ جيشه فجعل عمه حمودا وخيله في الميمنة وعامل صبيا في رعيل من الخيـل في الميسرة ، وتولى هو نفسه قيادة القلب .

لم يترسم الفلقي (التكتيك) المعروف في حـرب الاخوان كالبيات أو (الهجاد) أو الصباح من حـروب المباغتة الناجحة ، بل تقدم في وضح النهار بهجومه على القلب ، فثبت الامير وهو يعلم أن الجناحين سيقومان بحركة الالتفاف المرسوم ، وفعلا تم ذلك وكانت الهزيمة على الفلقي وأهل الدعوة ، وأخـذت خيـل الامير في مطاردة المنهزمين بغية استئصالهم حتى أسدل الظـلام ستوره فحال دون البقية الباقية التي نجت، بعد كـل جهد ومشقة مع قائدها الفلقي الى جهة أم الخشب وعاد الامير الى أبي عريش .

انقضت سنة ١٢١٤ التي جرت فيها المعركـة وبعدها وثب حمود أبي مسمار في أول سنة ١٢١٥ هـ على ابن أخيه الامير علي بن حيدر ينازعه على مركـز الامارة واستمر النزاع نحو ثمانية أشهر أرغم في آخرها الامير على التحصن في قصره ، ثم التنازل عن الامـارة لعمه حمود بن محمد .

كان في ذلك النزاع والقتال بين الامير وعمه الفرصة الذهبية التي أتاحت للفلقي استرداد أنفاسـه المنبهرة فجمع فلوله واتخذ من بلدة أم الخشب مقرا للدعوة ، منتظرا وصول الامدادات التي طلبها من الدرعية .

في أثناء هذه الاحداث عاد الى شمال المنطقة داعية آخر من أبنائها هو عرار بن شار الشعبي من قبيلة بني شعبة ، وأخذ في بث دعوة التوحيد بين قومه فأطاعـه وخالفه آخرون ، فرفع الى الدرعية مستنصرا فوافتها رسالته مع وصول رسالة الفلقي فصدر الامر لحزام بن عامر العجماني بالغزو الى الجنوب فقابله (عرار) وانضم اليه بمن معه وسـاروا الى المخالفين فأرغموهم على الدخول في السمع والطاعة ، ووالى حزام سـيره الى منطقة الفلقي فالتقاه الفلقي وسار جنـوبا الى قرية الحجرين فضرب خيامه هناك وكتب رسالة الى وجهاء أهل المخلاف السليماني يدعوهم الى الطاعة والدخول في الدعوة الى الله وحمل الرسالة الفلقي نفسه وسـار بها الى صبيا التي اجتمع فيها أكثر وجهاء الجهـة الشمالية من المنطقة الذين أزعجهم وصول (حـزام) فأقبلوا على صبيا للتفاهم مع عاملهم على ما ينبغي عمله حقنا للدماء ، ومصالحة حزام ، وصل الفلقي وهـم مجتمعون لدى عامل صبيا فسلم الرسالة وبعد قراءتها أخذوا في التداول وأخيرا استقر الرأي على بعث وفـد من المجتمعين مع خطاب من عامـل صبيا الى الامـير علي بن حيدر في أبي عريش ، وبوصول الوفد وجد أن الامير محاصر في قصره وعمه حمود في شغل شاغـل بتشديد الحصار والضغط عليه ، فاجتمع بكبار رجال الاسرة الحاكمة المحايدين فتم رأيهم على الكتـابة الى الامير الاسبق يحيى بن محمـد المقيم على اقطـاعاته في قرية البيض ، ليتدبر الامر مع الوفد وعالم المخـلاف السليماني الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي ، وما تم

الاتفاق عليه أمضوه سار الوفد الى الامير السابق فبعث للشيخ وساروا جميعا الى صبيا واجتمعوا مع الباقين وناصر بن محمد العامل الاب وابنه منصور وتم الاتفاق على تشكيل وفد منهم الى (حزام) للتفاوض والدخول في الطاعة . قابل الوفد حزاما والفلقي في الحجرين وعاهد على السمع والطاعة وأنابهم حزام على جهاتهم على الوجه الاتي :

١ ـ يقوم الامير يحيى بن محمد بالامارة العامة ونشر دعوة التوحيد في ضمد والمنطقة الجنوبية .

٢ ـ يقوم عامل صبيا بنشر الدعوة في جهته .

٣ ـ يقوم (الفلقي) بشؤون (بيش) والجعافرة .

٤ ـ يقوم علامة المنطقة الشيخ أحمد بن عبد الله بالافتاء .

وانصرف الوفد كل الى جهته لانفاذ ما اتفق عليه، وبعد انصرافهم اتصل بعلم حزام أن المتخاصمين في أبي عريش غير راضين عن المعاهدة لا المحاصر ولا المحاصر فقام بمناورة ـ في شبه غزوة ـ خاطفة الى الجنوب من أبي عريش ولما لم تأت بالنتيجة المرجوة اكتفى بما تم بموجب المعاهدةوانصرف عائدا الى نجد ، بعد انصراف (حزام) تم لحمود التغلب على ابن أخيه الامير علي بن حيدر ـ الذي تنازل له عن الامارة قسرا ـ فأخذ من ساعة توليه زمام الامر في العمل لاحباط مفعول معاهدة حزام فاستمال أهل وادي ضمد بالترغيب والترهيب، حتى انصرفوا عن أخيه يحيى وعاهدوه هو وحال دون أي تصرف لأخيه وضايقه حتى اضطره الى الانزواء في بيته في قرية (البيض) . أغرى النجاح المؤقت الامير حمودا فدفعه الى تطبيق الخطة في نفس منطقة الفلقي فأخذ في استمالة قرية الملحأ حتى أنضموا اليه ، فشعر الفلقي بالخطر فكتب الى زميله عرار بن شار الداعية الثاني يدعوه الى الاتفاق على التآزر والتعاون وان يكونا يدا واحدة ، فوصله بالموافقة فقوي ظهره ورغب أن يغزو أهل الملحأ فاستنجدوا الامير حمودا فبعث سرية بقيادة ابن أخيه يحيى ابن علي ، وكتب الفلقي الى عرار فوصله بنفسه مع قوته ، وخيم معه في شمال قرية السلامة العليا أمام سرية حمود . علم عامل صبيا منصور بن ناصر فوصل وعسكر بين السريتين وسعى بالصلح على أن يرجع كل منهما بسلام الى جهته ، فرجعت سرية حمود ، أما عرار فانتظر انصرافها ودخل حصن السلامة العليا في مظاهرة المنتصر ، ووافاه فيه منصور بن ناصر وبعد المفاهمة تعاهدا على التعاون والتآزر ضد حمود والاجتهاد في نشر دعوة التوحيد ، وعاد منصور الى صبيا معلنا تجديد طاعته للإمام عبد العزيز وقام بالاجراءات الاتية :

١ ـ محاربة البدعوتشكيل جماعة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ـ أمر جنوده وأتباعه بلباس زي أهل الدعوة السلفية .

٣ ـ أمر بعدم تعاطي التبغ وتأديب من يتعاطاه .

لم يهن على الامير حمود أبي مسمار الهزيمة المعنوية التي منيت بها سريته على يد عرار ومنصور فخرج من أبي عريش في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢١٦ هـ يقود سرية قوامها خمسمائة مقاتل وسبعين فارسا لقتال عرار وفي طريقه بعث شخصين من كبار أسرته ينصحان ابن أخيه عامل صبيا منصور بن ناصر بالوقوف على الحياد بينه وبين عرار فعمل بالنصيحة وظل متربصا على حذر .

وبين قريتي (السلامتين) التحم القتال بينه وبين عرار فهزم الاخير وانسحب عائدا الى بلدته درب بني شعبة فدخل حمود قرية (السلامة العليا) ورتب حامية في حصنها وقفل راجعا الى أن خيم في قرية (الباحر) على بعد خمسة أكيال من صبيا وأعلن أنه سيهاجم صبيا فاستعد منصور للمقاومة فتوسط اخوانه وانتهى الامر بأن يصل منصور الى عمه كترضية أدبية فوصله ولم يزد الامر على المقابلة وانصرف حمود الى أبي عريش ومنصور الى صبيا .

رفع (منصور) كما رفع عرار والفلقي الى الدرعية باستفحال أمر حمود طالبين النجدة لخضد شوكته وتصفية الحساب معه ، فأقبلت اليهم سرايا الغزاة المؤلفة من :

١ ـ حزام بن عامر العجماني ومجاهدي العجمان

٢ ـ زبران القحطاني ومجاهدي قحطان .

٣ ـ سلطان بن ربيع الدوسري ومجاهدي الدواسر .

وبوصولهم الى بلدة الدرب انضم اليهم عرار بمجاهديه كما انضم اليهم الفلقي في بيش ومنصور بمجاهدي أهل صبيا وخيم الجميع في قرية الحجرين وأجمع رأيهم على غزو أهل بلدة (ضمد) الذين نقضوا عهدهم السابق لحزام بن عامر فبعث حمود بقوة لضمد لحمايتها بقيادة حسن بن خالد فسار الغزو اليها ودار القتال في ظاهر البلدة وانتهى بدخولها عنوة . وعقد قادة الغزو حلفا دفاعيا بين منصور والفلقي وعرار ليكونوا جبهة موحدة ضد الامير أبي مسمار ومن ثم عادوا الى أوطانهم .

ظلت المناوشات متبادلة بين جبهة الحلف الثلاثي والامير حمود بقية سنة ١٢١٦ هـ وقسما من عام ١٢١٧ هـ وحمود يوالي الرسائل الى امام صنعاء يستمده الرجال والمال ، والحلف الثلاثي يرفع بدوره الى الدرعية بتعدياته ، وما يبلغهم عن استنجاده بامام صنعاء وما يخشونه من وصول الامدادات .

في تلك الاثناء توجه محمد بن عامر ابو نقطة المتحمي الذي قد اصبح اميرا للامام عبد العزيز على بلاد عسير ، توجه بطلب الى - الدرعية - وصدر الامر اليه بقتال حمود وصدرت الاوامر لرؤساء الدواسر وقحطان وشهران وأهل بيشة وغيرهم بالجهاد معه ، وفي أثناء الطريق اصيب بمرض الجدري وتوفاه الله فصدر الامر بأن يتولى مركزه اخوه عبد الوهاب بن عامر ابو نقطة ، ووصلت الاوامر للفلقي ومنصور وعرار لاستنفار اهل طاعتهم للجهاد بقيادة عبد الوهاب فاستعدوا ، وفي شهر رمضان عام ١٢١٧ هـ نزل عبد الوهاب من طور السراة يقود عشرين الفا وانضم اليهم من جماعة عرار والفلقي ومنصور زهاء خمسة آلاف وفي يوم ١٢ رمضان سنة ١٢١٧ هـ وصل الى ظاهر مدينة ابي عريش وأقام معسكره حولها في شبه هلال - على مسافة نحو ميلين - تمتد من الحرة الشرقية الجنوبية الى ما وراء حي الديرة في الغرب الجنوبي .

لقد حصن الامير حمود المدينة تحصينا قويا فشحن حصونها المنيعة بالمقاتلة وأقام خطا دفاعيا خارجها ، كما حصن (حي الديرة) - حي الامير واسرته - وجعل فرقة من الفرسان لحمايتها وفرقة اخرى تتنقل بين خطوط الدفاع تولى هو قيادتها .

وفي يوم الخميس الموافق ١٤ رمضان بعث عبد الوهاب خطابا يحمل الانذار النهائي للتسليم والدخول في الطاعة او القتال ، فقال حمود لرسوله : أخبر صاحبك ليس لدي جواب الا ما تراه من الاستعداد .

وقبيل فجر يوم الجمعة الموافق ١٥ رمضان دوت أصوات المؤذنين في ذلك المعسكر المترامي الاطراف ، وصلوا صلاة الفجر جماعات ، وتقدموا نحو خطوط دفاع المدينة تدوي أصواتهم بالتكبير وتردد شعار الهجوم : (يا مالك يوم الدين ، اياك نعبد ، وبك نستعين) . وبعد قتال مرير لم يكن فيه اروع من اقدام المهاجمين الا استبسال المدافعين ، أكتسحت خطوط الدفاع وتقدموا على الحصون والقلاع فاستولوا عليها حصنا ، حصنا ، وبسقوط الحصون في عصر ذلك اليوم انتهت المعركة .

وفي يوم ١٧ رمضان خرج حمود من داره الى معسكر عبد الوهاب معاهدا على السمع والطاعة - للامام عبد العزيز وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه فأنابه على حكم المنطقة على :

١ - ان يظل على حكم المنطقة موقتا حتى تصدر موافقة الامام عبد العزيز .

٢ - قتال من وراءه وقطع علاقته بغير الامام عبد العزيز .

٣ - أن تكون الاحكام بين الناس بمقتضى الدين الحنيف .

وبذلك أصبحت المنطقة جزءا من المملكة السعودية التي أضحت حدودها من حدود العراق وبادية الشام الى حدودنا الحالية في وقتنا الحاضر تقريبا . وبذلك انتهت المرحلة الاولى من مراحل الدعوة والنضال لتوحيد الجزيرة العربية وفي يوم ٢٩ رمضان عاد عبد الوهاب الى عسير بعد أن ربط المنطقة اداريا بادارته.

ظل حمود في قلق نفسي بالنسبة الى مركزه في الامارة وهل يوافق الامام عبد العزيز على تأميره أم لا فاحب ان يعرف النتيجة مسبقا - فبعث برسالة الى الدرعية صحبة ابن أخيه حسن بن بشير مؤكدا العهد والبيعة وان الله قد شرح صدره لدعوة التوحيد ملمحا برغبته في الارتباط رأسا بالامام نفسه ، فورده الجواب بما طمأنه على مستقبله في الامارة ، وتأجيل النظر في فك ارتباطه بعبد الوهاب الى وقت آخر . فشمر عند ذلك عن ساق الاجتهاد وبدأ في فتح ما وراءه من تهامة.

الغزوة الاولى : ...بعث سرية قوامها ثلاثون فارسا : الى تهامة اليمن بقيادة ابن أخيه علي بن حيدر ، وأمره بان يعرض على من يمر بهم الدعوة الى الله ، والسمع والطاعة للامام عبد العزيز وقتال من وراءهم فمن أجاب أمر عليهم من يرتضون من رؤسائهم ومن تمنع استعان الله على قتاله .

فكانت طريقه على قبيلة ـ بني مروان ـ وهي اكبر القبائل وأعتاها ، فاستجابت للدعوة مباشرة بدون قتال ، فأمر عليهم رئيسهم احمد بن علي معوز وأخذ منهم مجاهدين وتقدم صوب قبيلة بني حسن ثم الى قبائل عبس فالى قبائل الواعظات ، وكل منهم يتلقاه بالسمع والطاعة ، للامام عبد العزيز فيأخذ منهم مجاهدين ويؤمر عليهم رؤساءهم ، ثم سار الى وادي مور فاستقبلوه بالسمع والطاعة ومن (مور) كتب الى عامل مدينة اللحية والى شيوخ قبائل (الزعلية) و (صليل) فورده الجواب من وجهاء مدينة اللحية بان عاملهم قد فر وترك المدينة خالية وانهم سامعون مطيعون كما وصله مشائخ صليل والزعلية مبايعين على السمع والطاعة ، فكتب للامير حمود بما تم من الفوز والنصر .

اندهش الامير حمود لهذا الفوز والنصر السريع وسار من (ابي عريش) مبادرا الى مدينة اللحية فدخلها دخول الظافر ثم أمر باقامة جماعة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصلاة جماعة في أوقاتها وذلك في آخر ذي الحجة سنة ١٢١٧ هـ وبعد أن عين لها عاملا ومأمورا للدرك سار الى قلعة وادي مور فاقبلت اليه مشائخ تهامة :

١ ـ شيوخ قبيلة (الجرابح) .

٢ ـ شيخ مشائخ قبيلة (صليل) المسمى الكلفود ، والذي لم يصل مع مشائخ قبيلته الذين عاهدوا قائده .

٣ ـ شيخ مشائخ قبيلة (القحرى) علي حميدة صاحب بلدتي (باجل) و (بيت الفقيه) .

٤ ـ صاحب بلدة (المراوعة) .

٥ ـ مشائخ قبيلة (الرماة) .

٦ ـ مشائخ وادي سهام .

وعاهدوا على السمع والطاعة وقتال من وراءهم ، عند ذلك بعث سرية لاخذ مدينة (الحديدة) فوصلت اليها وخيمت على مورد الماء ، فخرج اليهم عامل الحديدة صالح بن يحيى العلفي بقواته فانهزمت السرية الى (الجبانة) .

عاد الامير حمود الى ابي عريش ورفع الى الدرعية بما منحه الله من النصر والفوز ـ راجيا بعث السرايا والامدادات للاستيلاء على مدينة الحديدة وغيرها .

وفي شهر صفر سنة ١٢١٨ هـ اقبلت اليه سرايا المجاهدين تترى من نجد والدواسر وقحطان وعسير يغص بركابهم الفضاء ويضيق بجموعهم الثرى فقويت بهم عينه وامتلأ قلبه غبطة وحماسة .

جياد تعجز الارسان عنها
وفرسان تضيق بها الديار

فسار بهم نحو مدينة (الحديدة) وضرب خيامه على عطنها وبعث من معسكره خطابا الى عاملها يدعوه الى الدخول في جماعة المسلمين والسمع والطاعة للامام عبد العزيز فعاد اليه الرسول بدون جواب .

وعلى أثر عودة رسوله خرجت فرقة من حامية المدينة لمهاجمة المعسكر فالتقتهم طلائع الخيل وانقضت عليهم كجوارح العقبان ، فولوا منهزمين الى داخل المدينة ، فتقدمت الطلائع لاقتحام التحصينات فصبت عليهم القلاع والحصون ستارا من نيران المدافع يتعذر اختراقه ، وأصيب حمود بشظية صغيرة في صفحة عنقه فتراجع المهاجمون الى المعسكر ، وبعد مداولة الرأي ترجح لهم تأجيل أمر فتح المدينة الى وقت آخر ، وأن يتقدم الجيش جنوبا الى بادية وادي زبيد فسار بهم الى تلك الجهات فاستولى على :

١ ـ بلدة غلافقة .

٢ ـ بلدة المجيليس .

٣ ـ بلدة التحيتا : (وهي البلدة التي وصلت اليها القوات السعودية بقيادة الملك فيصل اثناء الاختلاف بيننا وبين اليمن الشقيقة سنة ١٣٥١ هـ) .

بوادر الخلاف بين حمود وعبد الوهاب : لم تمض شهران على استسلام حمود وارتباطه اداريا بعبد الوهاب حتى أخذ يفكر في أمر انفصاله عنه وان يكون مرتبطا بعاصمة الدولة مثل عبد الوهاب نفسه ، وأن يتلقى أوامره من الامام عبد العزيز مباشرة وقد المعنا

قبله الى بعث أول رسول ومعه أول رسالة الى الدرعية ليعرف رأي الامام بالنسبة الى مستقبله الذي علقه عبد الوهاب بموافقة هذا من الناحية الاولى ، أما من الناحية الثانية فلكي يجري الاتصال المباشر ، يضاف الى ذلك تلميحه في الرسالة الى رجائه في فك ارتباطه من سلطة عبد الوهاب .

لا شك أن ذلك اتصل بعلم عبد الوهاب فشعر بالامتعاض اللاذع والنفور الحذر ازاء أمير قهره وانتصر عليه بالامس القريب ، ثم من عليه بابقائه في مركزه ، في حال كان في وسعه جعل أي واحد من اخوانه المتطلعين الى المركز والجاه ليحل محله ، أما حمود فيرى نفسه أرسخ قدما في الامارة والمجد التليد من عبد الوهاب الذي لولا الله سبحانه وتعالى ثم النهضة الاصلاحية السعودية التي هو وليد انتصاراتها ، لم يكن برز اسمه ولا سطع ذكره ، وانه اصبح مثله يدين بالولاء والطاعة لآل سعود فليكن له في بلاده بعد ذلك ما لعبد الوهاب في بلاده نفسها .

من يومئذ بدأ الخلاف سرا في مرونة ودهاء ، ورأى حمود ان خير ما يقطع به سوء القالة لخصمه فيه أن ينمي رصيده في الطاعة بالنصح والاجتهاد وجهاد من وراءه والقيام بواجب الدين .

وفي نصف عام ١٢١٨ هـ توفي الامام عبد العزيز غيلة ، ووصل الخبر الى المخلاف السليماني متأخرا لبطء المواصلات في ذلك العهد ، ومن الواجب أن يتقدم حمود بواجب التعزية وتجديد البيعة للامام الجديد ، فبعث وفدا وبعث معه اخماس الجهاد المتأخرة وكتب رسالة تتضمن التعزية والاخبار بما استجد من البلاد التي تملكها للامام مؤكدا بيعته ونصحه واخلاصه وملتمسا النظر فيما قد وعد به من الامام الراحل بشأن فصله من الارتباط بعبد الوهاب ، وليكون الرجاء أدعى للقبول ولأن ابن أخيه عامل صبيا أقدم منه سابقة في الطاعة وله اصدقاء في العاصمة بعث الى أخيه ناصر والد منصور بحجة استشارته فيمن يختاره للوفادة وما يراه من الرأي حول موضوع طلبه الفصل عن عبد الوهاب ثم من طرف خفي لمح له بأن ابنه أمير على منطقة صبيا وبيش فلو طلب مثل طلبه لما مانع الامام الجديد وقد يظفر بوعد في المستقبل القريب يمكن تحقيقه ثم عليه واجب التعزية وتجديدالبيعةمثله، فوافقه وسار وفد حمود كما سار منصور على رأس وفد عن منطقته .

ونلاحظ هنا ان الفلقي قد اختفى اسمه ولم يرد له ذكر في حوادث التاريخ من الثلث الاول من عام ١٢١٨ هـ مما يدل على أنه توفي بدون ريب . اذن لم يبق في شمال المخلاف الا منصور بن ناصر امير صبيا وبيش ، او عرار بن شار امير بني شعبة وعتود وقنا والبحر والقحمة ، وهو كحمود ومنصور مرتبط بعبد الوهاب ، وقد تمكن حمود من استمالة ابن اخيه منصور ووافقه في طلب الانفصال وها هو متوجه الى الدرعية وطريق الوفد تأتي على قاعدة امارة عرار بن شار ، ويظهر أن حمودا أوعز له بان يحبذ لعرار التوجه معه والمطالبة بالانفصال مثله ومثل منصور عن عبد الوهاب فأفادهما بأنه سبق أن بعث وفدا وسكت .. واكتفى الوفد بما لمسوا أثره في نفسه .

وبعودة الوفد ومقابلتهم لعرار — وقد تكللت مهمتهم بالنجاح — بعد موافقة الامام على انفصال حمود كليا عن ارتباطه بعبد الوهاب وعلى انفصال منصور كذلك ما عدا الجهاد، لمح على وجوه الوفد اشراقة النجاح، وسأل وأجابوه : لو سمعت للمشورة لتخلصت ، وفهم هو وشعر بالغصة فازدرد ريقه ولاحظوا سهومه ، فقالوا: الشيء ما فات ؟ والامير حمود جل ما يتمناه ان تكون مستقلا عن عبد الوهاب مثل غيرك من امراء بيشة والدواسر ومثله هو والكل تحت نظر الله ثم نظر سعود.

وكان لعبد الوهاب عيونه لدى عرار فوافوه بكل ما جرى ، وصادف وصول الاخبار مع وصول الاوامر بفصل حمود ومنصور عن ادارته ، فعرف أن حمودا أحكم التصويب بالنسبة الى نفسه والتدبير بالنسبة الى منصور ، والآن يقوم باغراء عرار ، وشعر بأن عرارا مال مع الاغراء فتشدد هو في كل ما يتصل به وبقدر ما توترت العلاقات هنا تقاربت هناك ، وكأن حمودا يريد ان يشغل فكر عبد الوهاب بما يصرفه عنه أو يمتص نقمته عليه وقد حصل ذلك في شخص (عرار) .

جازان — محمد بن أحمد العقيلي

البقية في عدد قادم

مرايا.. وظلال

أسعد حبيب يوسف

هي رؤيا دعيه حتى يفيقـا   حالما ، يرصف النجوم طريقا

رب رؤيا ألذ من صحوة العمر   ٠٠ وأبهى من الصباح شروقا

العناقيد أسكرته فغنى   وسقى العاشقين منها رحيقا

صدقيني ما مر بي طيفك الحالم الا وددت الا افيقا

نشوة من سلاف كرم عتيق   أطيب الخمر ما يكون عتيقا

لا يتم الحضور في الشعر ما لم   يكن الحسن سامرا ورفيقا

حلم جامح يحلق في الجو   ويأبى التغريب والتشريقا

ليس بدعا على النسور اذا كانت تحب الجموح والتحليقا

خلق يعشق الاباء ويستهويه   من كان بالوفاء خليقا

مذهبي شرعة الوفاء وهذا   دم قلبي على السطور اريقا

بأبي حافظ العرين أفديه   رئيسا وقائدا ورفيقا

لست أغلي عن مجد تشرين ميدانا   ولا عن عكاظ للشعر سوقا

الف ظلم أن نحجب النور عمن   أطرفوا الشمس هالة وبريقا

أي بدع اذا ارتديت وشاحا   عربيا ٠٠ او كان مجدي عريقا

لست ارضى بغير واسطة العقد ... وان كان لؤلؤا وعقيقا

قدري فى الحياة ان امتطى الموج ... صراعا : أو أن أموت غريقا

★ ★

حبذا صهجة الميادين لو أدرك ... فرسانها مداها السحيقا

جهلوا روعة الصهيل فظنوه ... زفيرا لخيلهم وشهيقا

حرروا رشمة الهجين وخلوا ... رسن الادهم الاصيل وثيقا

لا عزوفا عن العمود .. ولكن ... جنحوا حين لم يطيقوا اللحوقا

أغرق المترفون بالرمز حتى ... اشبعوا الكادحين .. نوما عميقا

يتباهون بالغموض كما لو ... انهم ابدعوا لنا منجنيقا

لم يرعهم حريق روما وجنوا ... حين شيعت بلبلا مشنوقا

أقلع الركب من قراصنة الحرف ... وهيهات يعبرون مضيقا

ملأوا الارض والسماء غيوما ... ورعودا خلابة وبروقا

واستباحوا حمى ملائكة الوحي ... وقد نصبوا الهها صفيقا

بهت النقد حين طالع جيلا ... فرأى تاج ربهم مسروقا

كفرونا بالشعر .. استغفر الله ... أيدعى شعرا بلا موسيقى ؟!

★ ★

روج الآبقون زندقة الشعر ... وعابوا من لم يكن زنديقا

جردوا الشعر من غلائله الزهر ... امتهانا .. وألبسوه خروقا

جرحوا كبرياءه .. فتحدى ... والديه : تمردا وعقوقا

انه الشعر لا يطيق قيودا ... فاتركوه كالموج حرا طليقا

جددوه - الا ملامحه السمر ... دعوها .. مياسما وحروقا

روعة الشعر أن يجن وأن يضرم ... في غابة القلوب حريقا

● **أسعد حبيب يوسف**

بين النقد والحقد
ضاعت أقدار الرجال

اللحام

علي المصري

جميل ان تقوم حركة ادبية نقدية على ارض هذا القطر الحبيب ، وأن تمتد شرارة هذه الحركة الى اقطار عربية أخرى لتعم الوطن العربي الكبير وتملؤه بالدفء .

وأجمل من ذلك أن الحركة النقدية ظاهرة صحية يتنفس الادب من خلالها هواء نقيا يخلصه من الشوائب التي قد تعلق به من تجارب فردية مغلقة وظروف شخصية استثنائية ، وتضع الادب في المكان الصحيح الذي يجب ان يتربع فيه ليأخذ دوره الطليعي في تفسير الرؤى الحياتية واشكالها .

ـ والنقد هو المعيار السليم والميزان الحق الذي نستطيع بواسطته ان نقوم غث القول من سمينه ، وحينما لا يكون نقد ، لا يكون ادب ولا فن .

وما الناقد الا فنان آخر يعيش بصورة واعية ما عاناه الفنان أو الاديب بصورة غير واعية أثناء عملية الخلق والابداع .

هذه هي مهمة الناقد في دراسة الاثر الادبي ، تبيان القيمة الفنية له ، وتلمس الروح الجمالية فيه، وتفسيره وترجمته وفرزنته ، على اختلاف المدارس النقدية التي نعرفها .

فمن نقد مذهبي « ايديولوجي »
الى نقد تأثري أو جمالي
الى نقد موضوعي
الى نقد لغوي معنوي
الى نقد تفسيري ... الخ .

أما أن تقوم حركة نقدية سلاحها السواطير والحراب والفؤوس والبنادق والشتيمة ، فهذا ليس من النقد بشيء ، ولا يمت الى الادب بصلة . هذه انكشارية جديدة في الادب هبت علينا ابان انتشار طاعون دعاة الادب وهو منهم براء

أن تقوم حركة نقدية هدامة ، تنبعث منها رائحة الحقد العفن ، واللؤم الازرق ، وقتار الاجساد ، يدير رحاها متطفلون على النقد والادب بقحة وقلة ادب ، فيهدمون ما بناه الفنان أو الاديب من وهج شرايينه ونزف روحه وتدفق قريحته وعذابات خلقه وابداعه . وبضربة لئيمة غادرة دون تبصر أو دراية ، فهذا هدم وخيانة لكل قيم الخير والعطاء في هذه الامة المجيدة ، وصفعة قاسية خسيسة لوجه الادب الشريف والمتأدبين في مجتمعنا الكبير .

وأعجب من ذلك أن تفسح صحيفة محترمة ـ صاحبة أيدلوجية هادفة وتؤمن بالنقد الذاتي والنقد البناء ـ تفسح صدرها لنشر مثل تلك الحماقات الغرة، وتصبح ميدانا لنكرات متطفلين على الادب بغير ذوق

وبغير أدب ، مسرحا للردح والشتم ، ومعرضا لمفردات العهر والرذيلة .

أن يتحول النقد الى سوق بغاء بخس ، يتناول انتاج جيل عملاق طرد الاستعمار عن هذه الارض الحبيبة وحقق الاستقلال ، فجريمة ما بعدها جريمة ، وخيانة ما بعدها خيانة .

رويدا ، رويدا يا عواسج أدواح الادب ، فليس بهذه الطريقة الرخيصة يصعد الاقزام والمتطفلون اهرامات الادب ، وليس على أجساد العمالقة تبنى أمجاد الصعاليك . فباطن الارض خير لهؤلاء من ظاهرها .

يارب حي رخام القبر مسكنه
ورب ميت على أقدامه انتصبا

كيف ، كيف سوغتم لانفسكم الاجتراح على حرمات مآثر جيل شريف مكافح عنيد عملاق سبقنا ، قارع الاستعمار وطرده وطهر أرض قطرنا الحبيب ، بكل ما يحمل العربي من شهامة ومروءة وخلق كريم .. اناقل ما يقال بفعلتكم الشنعاء ظلم وجور واعتساف وخفر للذمام .

فعلى يد ذلك الجيل العتيد تعلمنا الابجديةوالوطنية والشرف والنضال ، فلم لا تأخذون عنهم الخلق والوفاء والمروءة والعزة والشهامة يا جيل (رأس غليص) والزهري والسعال .

لقد سمعنا فيما سبق عن السلف ـ طيب الله ذكراهم ـ ان أحدهم اذا أراد أن ينشد قصيدة في حضرة الصحب ، كان يسأذنهم تأدبا ولباقة . وان كانوا في مجمع وذكر غائب ، عطروا ذكراه . وان سئلوا عن عميد أثنوا عليه وطيبوا حمده . ولم نسمع عنهم كما نسمع اليوم عن تنافر زيد مع عبيد ـ من حملة أسنة الاقلام المسمومة المشبوهة والمحسوبين ظلما واعتسافا على الادب ـ على قارعة الطريق بالمناقير والمخالب والريش .

ولم يصل الينا عنهم من يجلس « رجلا على رجل » أمام من هم بمنزلته أو دونه ، كما يتصرفأصحاب السراويلات المزقة اليوم بكل صفاقة ورقاعة . ما اجتمع شملهم يوما الا وكان الادب جليسهم ، وحديث التراث الاثيل سلواهم .

هكذا كان الجيل العملاق الذي خلفناه ، فنعم السلف وبئس الخلف اذا كانت هذه طريقتنا في السلوك والنقد والادب .

ضد سياسة الختل والاغتيال الادبي ضدسياسة الطعن في الظهر ، فهذا ليس من اخلاق العرب والمروءة العربية .

نحن ضد الطعن في التراث والمورثين ، اذ ليس من المعقول أن يقتلع الانسان جذوره الادبية والحضارية ويعيش في عري حضاري ، لان رياح الحضارات الوافدة عاتية لا ترحم أبدا وستقتلعنا من جذورنا عواصف القرف والغثيان والهيبية وتقذفنا الى مزابل الحضارات وفتات موائد الآخرين .

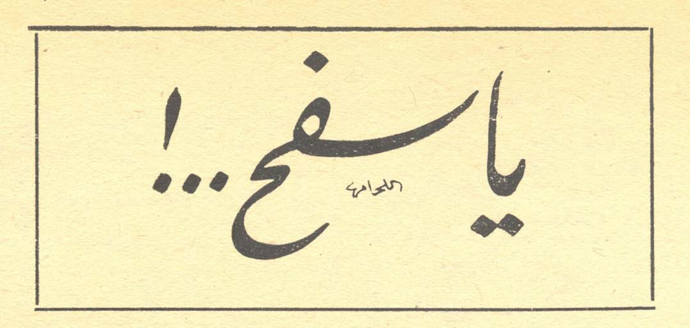
نحن ندعو الى أدب جديد يعيد للادب شبابه وللامة العربية مجدها وعزها التالد ، بداياته انهاك التراث فهما ، كي نحافظ على شخصيتنا وأخلاقنا وقيمنا الرفيعة في الادب والسلوك ونسهم بواجبنا في دفع عجلة الحضارة الانسانية .

انا ندعو الى نقد أدبي بناء يحفظ ماء الوجوه ويعيد زخم ورونق البلاغة والفصاحة العربية الىمجدها التليد ، بعيدا عن كل ما يسيء الى تالد وطارف هذه الامة ويعمل على جلاء مستقبلها واستشراف الاهداف الشعبية بحس أدبي أصيل ، بعيدا عن المراهقة الادبية والفكرية ، بعيدا عن تأثير تجارب المعقدين الذين يتخذون لانفسهم احجاما أكبر بكثير من حجومهم ، وسيوفا أطول من قاماتهم ، وكلمات أضخم من حناجرهم .

النقد الهدام لا يخدم هؤلاء ولا يعطيهم قيمة اكثر مما يستحقون . النقد البذيء لا يخدم أحدا في هذا القطر الحبيب المتميز بحسه القومي الاصيل وتأثره بأحداث الامة العربية وتحمل أعباءها .

نحن معنيون بلم الشمل ورأب الصدع في عالم الادب ، لان الاديب عين أمته المبصرة يفسر لها الحاضر ويكشف لها المستقبل

دمشق ــ علي المصري



« عارف تامر »

مهداة الى الشاعر انور الجندي

يا سفح فيك الآن ما نأمل   الظل والانسام والجدول

وباسقات الدوح مخضلة   يشدو على اغصانها البلبل

يا حامل النجوى وسر الهوى   وكل ما يعلم او يجهل

الشوق والود وآمالنا   وحبنا الاول والمقبل

★ ★

يا سفح في مغناك في المنحنى   عصارة الحب الذي ننهل

فاحفظ لنا الذكرى وألحاننا   يا سفح أنت الربع والموئل

سلمية ـ عارف تامر

عبد الكريم دندي

الشاعر أنور الجندي

ـ ١ ـ

اذا قيل الشعر العربي في سوريا ، خطرت بلدةالسلمية (بفتح السين واللام وسكون الميم) تياهة بما لها من دالة عليه في النصف الثاني من القرن العشرين ،فمعظم شعراء القطر قد مروا بساحتها ذات يوم ، وتنفسوا مع الصبح أنسامها المعطرة . فهي تقوم وسط سهل فسيح مطرد المناظر ، يصول الخيال على المدى بلا تخوم . ينتهي شرقا عند قدوم البلعاس . وشمالا حتى خرائب الاندرين . والتي أمضى امرؤ القيس ليلته في خمارتها يوم ارتحل الى بلاد الروم طالبا النجدة لاستعادة ملكه الضائع . واذا كانت الخضرة في هذا السهل قد تلاشت هذه الايام بسبب الجفاف ،واندثار القنى الرومانية وغور المياه الجوفية . فان الامل بجر قناة من السد الكبير يراود الجميع ومثل هذه القناة السطحية سوف تعيد الخضرة الى البلدة والمنطقة . وعندها تعود العصافير الى الربوع ، ويقصدها من جديد الشعراء على غرار ما فعل ديك الجن أو البحتري أو الكميت في أعوام خلت . لقد عشقت البلدة الادب طويلا ، فالكتاتيب في حاراتها الاربع منذ مطلع القرن الحالي تتسابق الى تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن ونهج البلاغة والمعلقات . حتى كادت الامية أن تنقرض مع فجر الاستقلال الوطني . وليس ثمة عجب أن يكون لكل جيل شاعر أو أكثر من بلدتي فهي تحب الشعر والشعراء ، حيث يتجسد فيه طموح شبابها الى الفروسية بجانبيها المادي والاخلاقي وعلى مزماره يغني الشباب همومه وأحلامه والشعر مذ كان في أمتي قيثارة الانسان في الرحلة الدنيوية .

ـ ٢ ـ

والاستاذ أنور الجندي شاعر من شعراء البلدة التي تعشق الشعر . مقل في النشر على غرار جيله . لا يحب البروز بدون وجه حق . ولد عام ١٩١٧ لاب موظف في سلك الحكومة . نهل المعرفة بادىء ذي بدء من كتاتيب البلدة كغيره من الصبيان . وتعلق قلبه بالشعر صغيرا . فتفوق بالكتابة والبيان . ثم انتقل الى المدرسة الابتدائية فنال شهادة السرتفيكا بتفوق أرسله والده الى حمص ، وهناك تعلم في كلية الروم الارثوذكس الدراسة الاعدادية والثانوية . وكان طموحه كبيرا أن يتابع الدراسة العليا في فرنسا ، ولكن الظروف الخاصة حالت دون ذلك . فكانت خيبة لها شرخ

عميق في وجدانه ، وجاء فشل حبه الاول في مدينة حمص خيبة أخرى ، فتعمق الاسى والحزن في نفسه ، وكان ينظم الشعر خلال دراسته الاعدادية والثانوية وانخرط في سلك التربية معلما في المدرسة الابتدائية . فقال الشعر في جميع المناسبات وكان ينشر بعضه في صحف بيروت كالامالي والمكشوف والاديب أو صحف دمشق كالصباح والجزيرة والدنيا، ثم نقل مدرسا للادب العربي في اعدادية البلدة ، فتخرج على يديه جيل من الشباب ، يتحمل مسؤولية العمل الوطني في شتى المجالات، وكان الشعر صوتهم الغالب. ومع بداية عام ١٩٧٧ أحيل الشاعر على التقاعد من الوظيفة بعد بلوغه السن القانونية، وما عرف له نشاط أدبي غير الشعر .

— ٣ —

الخيبة التي ختمت حلم الشاعر في طموحه وحبه وسمت وجدانه بحس الفاجعة . فكان صوت الاسى أقرب الى ايقاعه الشعري من صوت الفرح لازمه هذا الحس ، وركن اليه طويلا حتى غلف كونه الشعري بالحزن والالم . واذا كانت المأساة تقترن دائما باللوعة والندم ، فهي تنطوي في الواقع على أعمق مظاهر الرفض ، حيث تفجر في الكائن الانساني حوافز العمل والفكر . وظل شعر أنور الجندي غنائيا تحت هيمنة هذا الدافع العميق وأقرب ما يكون الى الشكوى والنواح . ولم يتطور الى الشكل الدرامي أو الملحمي وما كان حس المأساة في داخله المضطرم الا دليل حساسية زائدة نحو الاشياء ، ومسرب شعور داخلي بخطى الزمن العشوائية . مما غلب ايقاع الحزن ، وجرسه في معظم ما قال من شعر حتى الان وهو ليس بقليل حتى عرف في الوسط الادبي بمدمن الخمرة السوداء . كما قال عنه الناقد السوري الدكتور شاكر مصطفى في دراسته عن الشعر السوري المعاصر خلال العقد الخامس من قرننا الفارب . وحس المأساة يكمر جميع احساساته الاخرى ويغلفها في داخله القاتم :

يا حسي المجنون من يسمع
لو أغرقت أيامك الادمع
تشكو ، فلا يصغي اليك الدجى
وتهجع الدنيا ولا تهجع
وكم بكت عيناك ذاك الهوى
والدمع بعد الشيب لا ينفع
فاكتم جراح القلب يا عاشقي
وانسى الهموم الحمر . يا موجع
مات الهوى .. مات الهوى كله
لا تبكه .. فالميت لا يرجع

وفي حسراته تلهف الى الايام الماضية ، وجمالها . وفي مواقف الرثاء نجد الصدق يتفجر في قصيدته نبع حنان لا ينضب ، وما سقط شهيدا من بلدته الا ورثاه أو مات صديقا وما نعاه . وهو في الحقيقة يرثي نفسه. لان الحياة التي يعيشها كرها لم تحقق أحلامه ولا طموحاته . لا على المستوى الفردي ولا على المستوى الوطني . لذلك نشعر بالاخلاص والحنان في كلماته المرسومة بحبر الوفاء :

لا تلمني اذا بكيت طويلا
شيع القلب حلمه المعسولا
أيها الذاهب البعيد .. بعيدا ..
أنا في الدرب أستحث الرحيلا
عركتني مصائب الدهر هما
وبرتني توجعا ونحولا
فاذا ما بكيتك اليوم فاعذر
شاعرا جسد الوفاء عويلا

ولقد رثى زوجه « أم علي » بملحمة طويلة من الرثاء ، يحتفظ بها لنفسه وللتاريخ وهو يحلم بالموت قبل صدور ديوانه . تلك أمنيته يرددها أمام زواره كل يوم ، ويؤكد أن الشاعر مشروع امكانية لا تتحقق الا بالموت . ولا يجوز الحكم له أو عليه قبل ذلك فاذا جار الزمان عليه بالنسيان في حياته ، فلن يبخل التاريخ بعد مماته اذا أبدع في عطائه . وكان عزاؤه في الشعر يلهمه الصبر على تصاريف القدر مهما ابتسمت له الحياة ، فالحزن علامته الفارقة دائما :

يا بسمة الافق والاحلام ضاحكة
ويا نشيد دموع الوامق العاني
أغريتني بشباب كله أمل
واليوم أيقظت آلامي وأحزاني

أعب بالكأس محزونا وبي ظمأ
وأنثني وفؤادي جد ظمآن

حتى في حضور الحبيبة ، لا يفارقه الاسى أو هاجس الموت والفراق وهو يحتسي خمرة الصبابة والهوى . وتلك مأساته الكبرى في مكابدة الايام مذ قال أول قصيدة في حياته حتى الان :

عهد قضيناه .. والايام ترمقنا
وللغرام تباريح وأفراح
يا ليل حدث حبيب الروح عن ألم
شربته ، فانتشت في الصدر أتراح
كأننا وخمور الوصل تسكرنا
عصفورتان وماء النهر أقداح
ثم أنثنيت وقلبي كله لهب
والدمع من عينها الكحلاء سحاح

وبرغم ما في الحب من هيام وجداني فان الالم يختصر هذا الهيام ، ويدمر فيه كل تطلعات الانسان الى الخلاص من قيود الواقع ، وخاصة مع هاجس الفاجع في ذات الشاعر المهووس :

غني وهزي باليدين .. جراح أضلعي الشقيه
وتلمسي الداء الدفين بظل قبلتك الرضيه
نامي على نغم النداء الحلو من شفتي الشجيه
نامي فما أبقت لي الايام من فرحي بقيه

وعندما يقرع العيد أبواب الناس ، يستعدون لمقدمه بما لذ وطاب وبكل جديد . الا شاعرنا حيث ينزوي وحيدا ينوح مع هاجس الفاجع الذي يؤرق لياليه ، ولا تعوده مع العيد الا الخيبة والمرارة :

قلت للعيد ، وهو بعد جديد
أيها العيد .. أنت حلم بعيد
أنت حزن ولوعة واغتراب
وشقاء وحرقة وقيود
ينتشي فيك كل هم قديم
ويناجيك مرهق وعميد
لست عيدا وانما أنت ليل
أبدي تموت فيه الحدود
خل قلبي ولا تسلني شعرا
أفجع العمر في حياتي عيد

انه كما وصفه الشاعر اسماعيل عامود يعشق الوحدة والانفراد ، ويتلذذ بالغربة النفسية والاجتماعية حيث ينعم في ظلالها بالفيض الشعري . فلا يمل ساعاتها مهما طالت . وكثيرا ما يقضي ساعات النهار مع الشعراء عبر دواوينهم ، ومع كل هذا فهو كسول في نشر الشعر على الناس أو اذاعته ، وقليل الترحال أيضا الى المدن أو القرى . والشعر عنده كلمة وايقاع . وهما ركني كل شعر جيد فالشعر دفقة الهية تتسم بالوضوح ، وتتميز بالالق الشهي كما يقول دائما . وعلى الشاعر الحقيقي وما أندر وجوده في أيامنا هذه أن يعنى بالموسيقا . فالموسيقى ركن أساسي من أركان الشعر عموما ، والشعر العربي خاصة . فالقصيدة العربية قطعة موسيقية . متجانسة ، تتلائم الحركات فيها والكلمات مع الانغام والتدفق الشعوري . ولذلك فان تقسيم الشعر الى قديم وجديد باطل ، وليس من النقد بشيء فالشعر عنده شعر ، عرفته العربية نوعا من الكتابة الادبية ونشاطا بارزا من نشاطات الحضارة القومية . والشاعر يستطيع أن يكون حديثا اذا أتى بصور جديدة ، ومعاني عصرية ، فيها جدة وأصالة وصدق . وأن يكون جديدا ، وأعظم ما يجب أن يتصف به الشاعر دائما كبرياؤه وصدقه . وهما جناحاه في كل وقفة أو معاناة .

بعيني طيف من هواك عنيد
وأيام لهو .. خطوهن وئيد
تلفت من بعد المشيب فهالني ..
نفور وأدمى مقلتي صدود
وناديت ذاك الطيف وهو مدلل
وقلبي وردي الجراح .. عميد
وأفجع ما لاقيت .. أني أضعته
غريبا ، فقل لي : كيف .. كيف يعود ..

ان حس المأساة يلوح في ثنايا معظم قصائد الشاعر أنور الجندي ، وهو لا يعيش الحاضر بقدر ما يلتجىء الى الماضي ، متشحا بالسواد خوفا من المستقبل الاتي ، وهذه تحتاج الى وقفة نقدية مع جميع قصائده . لعلني أستطيع الوقوف قريبا أمام شعره المنشور في شتى الصحف والمجلات وفي مختلف المناسبات القومية والشخصية .

دمشق ـ عبد الكريم دندي

عبير الشرق

عبد السلام هاشم حافظ

« صوت كل مواطن عربي ومسلم
أمام تحديات العصر المختلفة »

أنا الحر والصاخب الهادر
أنا المجد والصاخب الآمر
أنا الحر من كل قيد عتى
خلقت طليقا .. أنا الساهر
حياتي فدى وطني والدم الثائر

★ ★

رضعت الكرامة طفلا غرير
وربيت في مهدها المستنير
نشأت أبيا لخالي وعمي
وقد علموني نضال الشرور
ارد العدا عن حمانا وداري الكبير

★ ★

أهد صروح العتاة البغاه
وأهوى على الظلم أفنى رؤاه
بعزمي حطمت تماثيله
وقوة روحي تدك الطغاه
أنا الحر ثورات جيل تبيد الجناه

★ ★

أنا العربي بفكري وقلبي
باحساس روحي وآمال حبي
هواي أصد عوادي الزمان
وانذر كل مغير بحرب
وأبني الحياة لابني على كل درب

★ ★

أنا الحر نور يواري الظلام
وتزداد قوته كل عام
بنوري تشاد الحضارات دوما
وناري تذيب الدعاة الهوام
وتجتاح في سيرها عاصفات اللئام

أنـا الحـر في ثـورتـي لـن أهـون
وفي بلـدي الحـر مستعمـرون
سآتـي عليهـم بكـل الديـار
وأزحف خلفهـم كالاتـون
وأقضـي على كل اوكارهم والحصون

★ ★

لحريتي كـل سـعيي المريـر
جهـادي سيكتـب نفس المصـير
مـن المغـرب العربـي صراعـي
الـى القـدس قلب الجهـاد الكبـير
وحتـى جنـوب الجزيرة هذا السعير

★ ★

الى أن نحقـق أماني الوطـن
ونقهـر جيش الهـوى والفتـن
ويمضـي الدخيـل وأربابـه
وعهـد قضـى في هـوان الوهـن
أنـا الحر صوت الحقيقة صوت الزمن

★ ★

أنـا الحـر أذكـى عبير الوجـود
أنـا النـار والنور .. أصل النشيد
حقـوقي سآخذهـا أو أمـوت
فحريتـي اليـوم جهـد الجنـود
وميـلاد عهـد البنين الكرام الاسود

★ ★

أنـا الحـر مـن كـل قيـد عتـى
خلقـت طليقـا بروحـي القـوي
أنـا الشعـب سلطـان في موطنـي
يـدي في يـد الماجـد العبقـري
لنحيـا كراما .. حيـاة السلام الهني

★ ★

أنـا الحـر والصاخـب الهـادر
أنـا المجـد والصـاخب الآمـر
حياتي فـدى وطنـي والـدم الثائر

عبد السلام هاشم حافظ ـ المدينة المنورة

,, جابر سلامة ,,

مفارقات ميخائيل نعيمة

ان من احب الادباء الى نفسي ، الاديب اللبناني الكبير ، ناسك الشخروب ، ميخائيل نعيمة ، لنزعته الانسانية ، أولا . وثانيا : لحسه المرهف ، وذوقه الرفيع ، ومنطقه السليم ، في عرض أفكاره ، التي كتبها بشق قلمه ، ورسم صورها ، بصفاء فكره ، ولونهـا بسعة خياله ، وأطرها باطار محبته الشاملة ، لكل ما في الوجود ، الذي آمن بوحدته ، فجاءت آية مشرقة ، في الابداع ، والجمال ، والسمو ، تسر العين وتسعد النفس ، ولكن المهتم بها ، المتمعن فيها ، يجد فيهـا بعض المفارقات . فمنها رأيه :

أولا : في الانسان

فيقول في كتابه ـ سبعون ـ : « أسخف من الذين جعلوا الارض محور الكون ، هم اولئك الذين جعلوا الانسان سيد الكائنات بأسرها ... » .

ويقول في ـ نجوى الغروب ـ أما أنا وبني جنسي ، فقد ميزتني يا ربي .. « .. وهكذا ذلل الانسان لخدمته شتى البهائم ، والطيور .. وان من حقه المطلق ، أن يعامل المخلوقات التي دونه ، مثل تلك المعاملة .. » ثم يقول : « على من أعتب من مخلوقاتك لا . لا أعتب على أي مخلوق دون الانسان فهو وحده بين سائر مخلوقاتك على الارض مؤهل لان يقيم وزنا لاخوة الثدي » .

فالمفارقة واضحة ، لا تحتاج الى توضيح ، ولكننا نود أن نلفت النظر الى ما يلي :

١ ـ لقد ألف الاديب ميخائيل نعيمة كتابيه « سبعون » و « نجوى الغروب » بعد سن السبعين .

٢ ـ لو جاءت هذه المفارقة من غير ميخائيل نعيمة لما أوليناها أي اهتمام ولكن من ناسك الشخروب فنشعر بعدم الرضى ان قبلناها منه .

ومن مفارقاته أيضا رأيه

ثانيا : في ـ المرأة ـ

المرأة والرجل عنده في كتابه ـ في مهب الريح ـ « نسر جبار بجناحين متساويين عزما ومدى وجمالا يشق أجواء الوجود الى حيث المعرفة والقدرة والحرية .. »

مما تقدم نستطيع أن نبند ما يلي :

١ ــ النسر لا يطير بجناح واحد حاصل تحصيل .
٢ ــ والرجل لا يستطيع أن يشق أجواء الوجود الى حيث المعرفة والقدرة والحرية دون المرأة .

فلو ربطنا هذين البندين بحياة ميخائيل نعيمة لنتج معنا :

آ ــ ان الاستاذ ميخائيل نعيمة لم يستطع أن يشق أجواء الوجود الى حيث المعرفة والقدرة والحرية بعد لانه بجناح واحد .

ب ــ وناسك الشخروب لا يعترف بلقاء المرأة لحما وعظما كما في قصته ــ لقاء ــ ولكن لو عدنا الى ما قاله سابقا لوجدنا المفارقة واضحة ــ يشق أجواء الوجود ــ والوجود ما يرى ويسمع ويحس ثم أحد طرفي المعادلة الرجل المكون من اللحم والعظم والروح فهو بحاجة الى طرف آخر من نوعه وجنسه ليشق هذا الوجود المادي وان لم يتم هذا فالمعادلة ناقصة والنسر بجناح واحد لا يطير .

ثم لا بد من ذكر هذا التعقيب في نهاية هذا الرأي :

حاول أن تفتح المرحلة الثالثة من كتابه ــ سبعون ــ وحاول أن تمعن النظر في الصور التي أثبتها في هذا الجزء لوجدت له صورة في مكتبه وأمامه لوحة لامرأة من لحم وعظم وخلفه أيضا لوحة أخرى معلقة على جدار المكتب فلماذا هذا الاهتمام من ناسك الشخروب بهذه المرأة التي لا يعترف بلقائها ؟!!!

ثم من يختار لوحة فنية او حكمة أو مثلا ويضعها أمامه فانما يدل هذا على اعجاب بها وراحة لها لانها ستلازمه مدة طويلة . وسؤال أخير : لماذا لا يضع منظرا طبيعيا أو زهرة أو ... ما يتعلق بالوجود غير المرأة والطبيعة أحب الاشياء الى قلب ناسك الشخروب؟!!

ومن مفارقاته ايضا رأيه :

ثالثا : في المال والمعيشة

حيث يقول في كتابه ــ سبعون المرحلة الثالثة ــ وتحت عنوان (رفقة البحر) : فقد صممت أن أحيا حياة تقشف وتأمل وأن لا أذل نفسي للفلس فلا أطلبه في المتاجر أو في الوظائف ولا أقبله الا اذا جاء بدلا عن اشياء ظاهرة انتجتها أرضي أو خواطر ذات بال جاد بها قلمي » .

ولكننا نقرأ له تحت عنوان « القرش والقلم » ومن الكتاب السابق نفسه ــ سبعون ــ ما يلي : « فلقد اضطررت أن أستدين قسما من أحد الاصحاب » .

فلقد قبل ناسك الشخروب أن يطلب المال عن طريق آخر غير طريق الانتاج الارضي أو الانتاج القلمي لقد طلبه عن طريق الاستدانة وربما تكون بفائدة والله أعلم بذلك وهو والدائن ..

ثم يقول : « الامر الوحيد الذي كنت أخشى أن يعكر علي صفاء خلوتي هو أمر العيشة .. » ولكنه يأمرنا في كتابه ــ مرداد ــ بطرح أعباء المعيشة بقوله : « واطرحوا أعباء المعيشة جانبا » ما هذه المفارقة بين القول والتطبيق بين النظرية والعمل لماذا يدعو الناس الى طرح أعباء المعيشة ويتمسك هو بها ويستدين لها ؟!

حتى انه ذكر في كتابه ــ سبعون ــ أنه أشترى سيارة ــ منذ زمن بعيد ــ قبل أن تصبح ضرورية في نظر معظم الناس في عصرنا هذا فأين حياة التقشف والتأمل ..؟!

ومن مفارقاته أيضا :

رابعا : نقد الناس وغربلتهم

يقول في كتابه ــ مرداد ــ : اياكم والغربلة يا رفاقي، اياكم والغربلة يا رفاقي » .

ينهي الناس عن الغربلة ولكنه يغربل الناس ويؤلف كتابا سماه « الغربال » ثم أعاد طبعه مرات ومرات بنفس الاسم . فلماذا لا يبدأ بنفسه ؟!

ولنترك هذه المفارقة الى مفارقة أخرى وهي رأيه في :

خامسا : في التقاليد

يسخر في كتابه ــ سبعون ــ من تقاليد الموت عندنا ويعتبرها سخافة « اما السخافة السخافة او السخافة الكبرى فهي أن يغدو الموت في الشرق أو غير الشرق مناسبة يستغلها أهل الميت لاظهار مالهم من مكانة سياسية او اجتماعية ... » ولكنه يقول : « ... بعد عودتي الى بسكنتا ان أساير الناس في حياتهم الاجتماعية والدينية والعلمية فأقوم بتقديم التهاني والتعازي حيث تقضي التقاليد بذلك » فما هذه السخافة اولا ثم ماهذه

المسايرة ثانيا ؟ ثم ما هـذا الاهتمـام بالزوار ثالثا ؟ أليس ضربا من ضروب التقاليد ؟! « وكيف استقبـل فيه الذين اخذوا يفدون لزيارتي في شتى الفصـول ومن شتى الاقطار . انه لمأزق يصعب الخروج منه ولا بد من الخروج فكيف ؟! » . كيف يعتبر استقبال الزوار مأزقا يصعب الخروج منه ولا بد من الخروج ثم يبحث عن ابواب ليخرج منها . ولماذا لا يعتبر دفن الاموات مأزقا عند بعض الناس لا بد من الخـروج منـه ؟!!.

ثم لنقرأ له هذه المفارقة عن

ـ العالم ـ

يقول في كتابه ـ سبعون ـ : ولكنني أحس بالغ الاحساس أن العالم الذي في داخلي ومن حولي منظم أبدع التنظيم في أدق جزئياته وأوسع كلياته فمـا مـن شيء في الكون الا ويخضع في تكوينه وفي حركاته وفي نموه وانحلاله لنظام صارم لا يتبدل من يوم ليـوم ومن ألف عام الى ألف عام . » .

ولكنه يقول في ـ نجوى الغروب ـ

« أي ! مشوش هو عالم النـاس ... مشوش أفظع التشويش ...

والغريب أنه يحاول تنظيم تشويهه » وهل عالم الناس الا جزء من العالم كله ؟!؟!! وحتى في

ـ امنياتـه ـ

نجد المفارقات فيقول في كتابه ـ سبعون ـ

« عندئذ تمنيت مثلما تمنيت وأنا أقف على قمة صنين لو كان ذلك لك باشارة من يدك أو بكلمة مـن فمك .. أن تجعل قلوب الناس أينمـا كانوا قلبـا واحدا وعقلا واحدا » . ولكنه يقول في نجوى الغروب ـ « واذا اعتبرنا سكان الارض اليوم ... في نحو ثلاثة آلاف مليون ونصف المليون فذلك يعني أن هنالك مثل هذا العدد في العقول التي يحاول كل منهـا أن يكيف الارض والسماء وجميع ما فيها حسب هواه وذلك ما فيه الغرور والجنون .. »

فلماذا يدعو أو يتمنى ان يجعل قلوب النـاس وعقولهم قلبا واحدا وعقلا واحدا ؟! أليس واحدا مـن هؤلاء الناس اصحاب العقول الذين يتمنون ان يسير الكون حسبما يريدون ؟!!! أليس للغبي وللنبي قلب وعقل ؟! فكيف يدعو الى توحيدهم وفي الكتـاب ذاته يقول « فيه ضرب من الجنـون يساوي بين غبـي ونبـي » .

ومن مفارقاته أيضا رأيه في

صيد الطيور

فهو ينهي عن صيد الطيور « الحجل والطير و .. » ولكنه يقول في كتابه ـ سبعون ـ : « وأخي نجيب صياد له شهرته في المنطقة » . وكأنه يفتخر بهذه الشهـرة حينما يثبتها في كتابه سبعون وحينما يثبت صـورة أخيه متنكبا بندقية صيد وبجواره كلبه ـ دك ـ فـي الكتاب عينه .

ومن مفارقاته ايضا رأيه في

ـ المـوت ـ

فيقول تحت عنوان ـ بذور ـ في كتابه ـ سبعون ـ « وما بالنا ونحن الذين حصرنا الزمان بين المهد واللحد نقبل على المهد ونهرب من الموت » .

ولكنه يذكر لنا موقفه من الموت حينما رأى أخاه يموت فيقول في الكتاب ذاته « لا أستطيع أن انظر ببرودة ولا مبالاة الى هذا الهيكل البديع الذي هو أخي تتقوض أركانه جرثومة » ألا يدل هذا الكلام الى نوع من انواع الهروب من الموت وعدم الرضى به فكيف يلام الآخرون عندما يهربون منه بنوع آخر أو بطريقة أخـرى ؟!!

ومهما يكن فسيبقى ميخائيل نعيمة علما من أعلام التجديد ورائدا من رواد الادب العربي الحديث وانسانا فاضلا نبيلا يسعى اليه الناس للاخذ بآرائه والاقتداء بسيرته . فهو من هؤلاء العظماء الذي قالوا ما فيه الخير لانفسهم وللبشرية وحاولوا تطبيق ما دعوا اليه وانـه لكثير وكثير . ونحن هنا لم نسجل له هذه المفارقـات الا لاظهار ان مثل هذا الرجل الناسك قـد يقـع فكيف بنا نحن ؟!!!

جابر سلامة ـ طرطوس



أجرت الحوار : السيدة هند التونسي

مع

الاستاذ روكس بن زائد العزيزي

نحن نعرف أنك عدت قريبا من الجمهورية الليبية ، فما هي طبيعة زيارتك لهذا البلد الشقيق ، وهل هي خاصة ، أو رسمية ؟

زرت ليبيا بدعوة خاصة من اتحاد الادباء الليبيين ، لحضور مؤتمر الادباء الحادي عشر الذي عقد في الرابع والعشرين من شهر ايلول واستمر الى الثامن والعشرين منه عام ١٩٧٧ وقد قدمت بحثا للمؤتمر عنوانه (مفاهيم عصرية في شعرنا المؤتم) .

ما الوقت الذي استغرق اشتغالك في هذا البحث، ما الدافع الرئيسي لاختيارك هذا البحث ؟

الابحاث تختمر أولا في قرارة نفس الاديب والكاتب ثم تملي نفسها ، ولهذه المناسبة يحضرني قول بلزاك . عندما سئل : متى تكتب قصتك ؟ أجاب : ان عقلي الباطن قد أنشأ القصة ، وما بقي علي الا أن أضعها على الورق. والذي دفعني الى كتابة هذا البحث هو ما سمعت من الاتهامات التي توجه الى أدبنا الرائد ، وغرضها الاول والاخير هو اتهام العقلية العربية بالعقم ، وتنفير أبنائنا من لغتهم التي هي أمتن الروابط التي تشد الامة الى تاريخها ، ومن تلك الاتهامات :

أن أدبنا المؤتم هو أدب شخصي لا يتجاوز الضرورات التي يشارك فيها الانسان لبقية البهائم .

الاتهام الثاني ان شعرنا المؤتم يخلو من الالتزام الذي يشارك فيه الاديب قومه والانسانية همومها وآلامها ويحاول أن يخفف ويلات الحياة .

والاتهام الثالث هو أن الحب نفسه في أدبنا مادي لا يعدو كونه رسم خرائط للقدود والنهود .

والاتهام الرابع أن أدبنا وأديبنا لا يحس بالطبيعة التي هي عنصر من عناصر الارتباط بالارض .

والاتهام الخامس أن مفهوم الوطنية فيه مفقود .

والاتهام السادس أنه لا يواجه مشكلات الحياة ولا يعالجها ومن هنا فهو لم يحاول أن يكون لرفع كرامة الانسان .

وشر الاتهامات أنه شعر رتيب جامد لم يفهم الحرية ولم يدع اليها ، وانه في النهاية لا يستبطن الاشياء ولم يجسدها ، ولم يفض فيها الحياة .

فرددت على كل هذه الاتهامات بالدليل القاطع .

أتعتمد في تأليفك وبحوثك مع الرغبة الداخلية أم على حاجة المجتمع والنية ؟

الادب نوعان :

ابداعي وهذا ينبع من نفس الاديب كما يتدفق الماء من الصخر . أو هو كالنار الكامنة في الحجر تحتاج الى قادح يقدحها ، أو هو كالكهرباء التي تحتاج الى نابض

يظهر نورها . وحاجة المجتمع والبيئة هي محرك من محركات الدوافع الادبية للانتاج .

وأدب يرتكز على العلم من دراسة وبحث وتحقيق وهذا يجب أن تتهيأ ظروفه النفسية والعلمية والثقافية ليتمكن الاديب من الابداع فيه ، وأدبي في حالتيه لايخلو من هذين النوعين .

أمامي الآن بعض مؤلفاتك ، منها :

الامام علي أسد الاسلام وقديسه ، مادبا وضواحيها المنهل في تاريخ الادب العربي ، وطنية خالدة وأزاهير الصحراء ، قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية وغيرها فمتى بدأت الكتابة ، وما أول مقال لك ، وما أول عمل جاد لك ، وبأي مؤلفاتك الثلاثة والثلاثين المطبوعة تعتز ؟

٤ ــ بدأت الكتابة من خمس وخمسين سنة ، وكان اول مقال لي انتصارا لرجل فحام رأيته في مادبا وقد هجم عليه جباة الضرائب تحت وابل من المطر والثلج ينزعون عنه عباءته لتحصيل ضرائبهم فاخذت الرجل الى داري ، ودفعت عنه تلك الضرائب وكتبت الواقعة ببساطة الى جريدة رقيب صهيون التي كانت تصدر في القدس ، فكان مقالي سببا لالغاء ثلاث ضرائب وابقاء رسم واحد ، وبعد ذلك انطلقت اراسل جريدة الاحوال الشهيرة في بيروت وغيرها من الصحف ، وكان اول عمل جاد لي ، هو تحويل قصة قرأتها الى تمثيلية واسم القصة (سجين جمياج) لـلاب يوسف عمشيتي . لكن هذه المسرحية فقدت . أما المؤلف الذي أعتز به فهو : ــ قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية . والامام علي أسد الاسلام وقديسه . ومادبا وضواحيها الذي ألفته أنا وسيادة الاب النبيل جورج سابا ومجموع مؤلفاتي المطبوعة ثلاثة وثلاثون كتابا .

في الفترة الاخيرة شاهد المواطن العربي لك بعض المسلسلات التلفزيونية من تأليفك ، فهل استوحيت هذه القصص من الواقع ، أم من الخيال مثل مسلسل نمر العدوان ؟

المسلسلات التي كتبتها قصصها حقيقية لكن لاقيمة لاي عمل ادبي ما لم يعمل فيه الخيال عمله ، لان الوقائع نفسها ان لم يحركها الاديب بخياله تكون كالحجارة التي لا تستطيع ان تؤلف بناء ما لم يشارك فيها المهندس والبناء والعامل والخيال في رأيي هو اعظم معوان للاديب على نجاح عمله الفني والابداعي .

ما أول انتاج مطبوع لك ؟

أول انتاج لي مطبوع مستقل صدر لي في سنة ١٩٣٦ قصة ابناء الفساسنة طبعت في رافات من اعمال فلسطين ، ولفت نظر صاحب جريدة الدفاع فلخصها في عدد الدفاع البارز في ١٥ أيار سنة ١٩٣٦ ودعت كل شاب عربي الى قراءة هذه القصة لما فيها من دروس وطنية واتجهت اليها انظار عميد القصة العربية المرحوم محمود تيمور فكتب يقول : « انها من الادب العربي الحديث النادر الذي يصور البيئة ويجسد الجماد ويجعله ينبض بالحياة ! » .

أتعتقد أن الاديب يولد أديبا أم لا بد له من الدرس ؟

لابد للاديب من موهبة أصيلة يغذيها بالدرس والثقافة ولا يمكن ان ينجح اديب غير موهوب ، لكن الموهبة وحدها لا تعني شيئا ان لم تغذ بالدرس والمطالعة ، التي تغرس الاديب في تربة الخلود .

لأي أديب عربي تقرأ وما تقرأ ؟

الانقطاع لاديب معين ضروري للاديب في مرحلة التكوين ، اما عند استقلال شخصية الاديب فيجب أن يقرأ قراءات متنوعة ، وهذا ما افعله ، لكني اعترف ، بأني تأثرت في أولى مراحلي بالمرحوم امين الريحاني فقد وقعت في يدي الريحانيات وقرأتها مرارا الى حد الاستظهار ثم توجهت الى هذه الكتب :

أ ــ القرآن الكريم بتفسيراته المتعددة .

ب ــ الكتاب المقدس .

ج ــ جمهورية أفلاطون .

د ــ مقدمة ابن خلدون .

هـ ــ الاغاني .

ز ــ رسالة الغفران .

ح ــ اللزوميـــات .
ط ــ لسلامة موسى .
ي ــ ومن المعاجم :
لسان العرب ، المنجد ، وقد نقدته سنة ١٩٢٨ محيط المحيط . اقرب الموارد واستظهر فقه اللغة للثعالبي استظهارا كاملا . وأنا أعد نفسي تلميذا للاب انستاس ماري الكرملي .

ما أنواع الادب التي مارست الكتابة عليها ؟

ما أنواع الادب ؟
لقد كتبت المقال . والقصة ، والمسرحيـــة ، والمسلسل التلفزيوني ، والبحث والدراسة ، والترجمة الشخصية ، والمحاضرات الاجتماعية ، والنقـــد ، والشعر ، لكني لم انشر الشعر لاني لا أريـد أن اسجل على نفسي شعرا لا يكون في نظري شعرا خالدا !

أأنت راض عن النهضة الادبية في الاردن ؟

النهضة الادبية عندنا حديثة العهد ، ومن هـــذا المنطلق ، فلا يجوز للانسان الا أن يكون راضيا عنها . ولا سيما اذا نظرت الى ما اتوقع منها :

فاذا رأيت من الهـــلال نمـوه
ايقنت بان سيكون بدرا كاملا

ما مميزات الاديب الناجح ؟

مميزات الاديب الناجح هي :
الاصالة . والصدق ، والشجاعة الادبية ، وعمق الثقافـــة .

ما المناصب التي شغلتها ؟

بدأت حياتي في التعليم ولعلي قد ضربت الرقم القياسي في العلم فقد علمت الادب العربي والتاريخ ستا وخمسين سنة وخرجت بعد ذلك بغفران كامـل ــ أي تقاعد بلا معاش .
ثم انتخبت ممثلا للرابطة الدولية لحقوق الانسان في سنة ١٩٥٦ ما زلت الى الآن وانتخبت عضوا مراسلا لمركز الابحاث الاثنولوجية في باريس ما زلت واختارني الاخوان رئيسا لرابطة الكتاب الاردنيين .

ما مشاريعك الجديدة الآن ؟

يطبع لي في جدة بانفاق نادي جدة الادبي الذي انا عضو شرف فيه كتاب فريسة ابي ماضي طبعة جديدة.

ويطبع لي كتاب مذكرات المرحوم احمد زكي ابو شادي سنة ١٩٤٢ الذي أوصى لي بـه قبـل وفاتـه بعشرين يوما ، وطلب مني ان احققه .

ما رأيك في المؤتمر ، من أبرز من حضره ، وما أهـم توصياتـه ؟

لعل هذا المؤتمر كان من انجح المؤتمرات !

حضره مندوبو اربعة عشر دولة .
أبرز رجالات الادب الذين حضروه :

١ ــ من ليبيـــا ــ رئيس المؤتمـر الاستاذ خليفـة التليسي والاستاذ علي المصرافي .
٢ ــ من تونس ــ الاستاذ العروسي المطوي والاستاذ محمد ابو القاسم كرو والاستاذ المسعدي .
٣ ــ من الجزائر ــ الاستاذ عبد الله اليركي والاستاذ محمد بلقاسم خمار .
٤ ــ من موريتانيا ــ الاستاذ خليل النحوي .
٥ ــ من القاهرة ــ الاستاذ يوسف السباعي .
٦ ــ من لبنان ــ الاستاذ سهيل ادريس .
٧ ــ من سورية ــ الاستاذ سليمان العيسى .
٨ ــ من العراق ــ الاستاذ شفيق كمال .
٩ ــ من الكويت ــ الاستاذ محمد خليفة التونسي .
١٠ ــ من السعودية ــ العلامة الكبير الاساذ حمد الجاسر والشاعر حسن القرشي .
١١ ــ من اليمن ــ الاستاذ عبد الرحمن .
١٢ ــ الدكتور هاني العمد وعيسى الجراجـرة وابراهيم العجلوني والاستاذ محمد اديب العسكري .

توصيات بدعم قضية فلسطين وكل قضايا التحرر، ويدعم مكانة اللغة العربية والاديب العربي وتعزيز ادب الطفـل .

وقدمت الاردن مع بحثي بحثا للدكتور سامـــي حضاوته والدكتور رحيات وبحثا للاستاذ العـــامري وبحثا لابراهيم خليل وبحثا لابراهيم العجلوني .



ديوجين الحكيم

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر المسرحي عدنان مردم بك

عرض وتقديم : حسان الكاتب

أصدرت مؤسسة الرسالة في بيروت هذا العام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ ميلادية مسرحية شعرية في أربعة فصول بعنوان « ديوجين الحكيم» للشاعر المسرحي عدنان مردم بك وهي تقع في ـ ١٣٩ ـ صفحة من القطع الوسط وتتميز بطباعتها الانيقة وغلافها الجذاب .

وهذه المسرحية في سلسلة ما أصدر الشاعر هي الثامنة فقد أصدر مسرحية العباسة في بيروت ١٩٦٨ والملكة زنوبيا في بيروت ١٩٦٩ والحلاج في بيروت ١٩٧١ ورابعة العدوية في بيروت ١٩٧٢ وقد نالت هذه المسرحية الجائزة العالمية الثالثة في أسبوع الكتاب الصوفي العالمي عام ١٩٧٢ من اللجنة الاستشارية العالمية ومن اليونسكو وقد حاز الشاعر بموجبها لقب « بروفسور » .

كما أصدر مسرحيات مصرع غرناطة صدر في بيروت عام ١٩٧٣ وفلسطين الثائرة صدرت في بيروت ١٩٧٤ وفاجعة مايرلنغ صدرت في بيروت ١٩٧٥ وكلها أصدرتها دار عويدات .

هذا عدا الدواوين الشعرية البالغعددها أربعة وهي :

١ ـ نجوى ـ صدر عندار المعارف في القاهرة ١٩٥٦

٢ ـ صفحة ذكرى صدر عن دار المعارف في القاهرة ١٩٦١ .

٣ ـ غادة أفاميا ـ صدرت عن دار عويدات ـ بيروت ١٩٧١ .

٤ ـ عبير دمشق ـ صدر في بيروت عندار عويدات ١٩٧٠ .

وكما نعلم أن عنوان مسرحيته الاخير ـ ديوجين ـ مستوحى من حياة ذلك الحكيم الغريب الاطوار ، الذي رمته فئة من الناس بالهوس والعته ، ومنهم من أحله في الطبقة العليا من المفكرين الحكماء ، كالكاتب الكبير لوقيانوس السميساطي ،فيكتابه مسامرات الموتى،وديوجين هذا ، ينتمي الى زمرة الحكماء الكلبيين ، تلك الفئة من الناس التيعرفت بالزهد وشدة التقشف، فقد عاشعمره وليس يملك من دنياه سوى عصا غليظة ، وعباءة خشنة يستر بها جسمه ، وقدح خشبي يشرب به ، وقيل انه لما شاهد مرة طفلا يغترف بكفيه من النهر ، حطم قدحه قائلا الاطفال أشد معرفة بالاشياء الواجب التخلي عنها .

ان المتتبع لسيرة ديوجين في القسوة التي ارتضاها لنفسه ،

وفي تحديه للناس دون هوادة، بالغمز منهم لتكالبهم على حياة قصيرة يعتورها الزيف والغش ، يراه يدخل في عداد المصلحين من رجال الاخلاق ، فقد قيل كان يخرج في وضح النهار ، حاملا فانوسا مضاء ، وهو يجوب شوارع أثينا ، فاذا ما سئل عن خطبه ، أجاب أبحث عن الرجل ثم يعود أدراجه ويدلف الى برميله قابعا مفكرا في أمر الناس ٠

يقول الشاعر في المقدمة : « أردت أن أسطر مأساة ديوجين النفسية التي كان يحياها ، وأخرجها مسرحيـة للناس ، لان العظة التي تستخرج من التاريخ أوقع في النفس ، والرمز أحيانا أبلغ من الافصاح ، ورحم الله شاعر الشام الكبير الاستاذ خليل مردم بك حين قال في رائعته الشعرية الكبرى قصيدة بردى :

أرى الكنانة تشقى في مواطنها
والرمز أبلغ من شرح وايضاح

وفيما يلي نقدم نتفة من المشهد الاول في الفصل الثاني ـ فالمشهد في أحد أزقة أثينا يجلس الحكيم ديوجين قرب برميله والى جانبه فانوس وعصا غليظة ، وعن بعد تسير بعض المارة ـ ديوجين يحدث نفسه :

أجـد النـاس لا تني
تسأل مـن أنـا ؟

كنت لغزا بزعمهم
ليـس يجلي علـى المدى

كـم فريـق أحلني
غارب النجم بالـذرى
وفريـق أضاعني
دون ذنـب علـى الهوى

سـاءه أن مقلتـي
لـم يشب طرفهـا قـذى

وروى قلبـه الجوى
فتلـوى علـى الجـوى

انما الناس ، أمرهـم
كـان أدهـى من العمـى

آثـروا في معاشـهم
جانـب الشـر والاذى
صـبحهم مثـل ليلهم
ما لآثامـه مـدى
والليالـي لشامهـا
كسـف (١) العار والخنـا
عجـب ، كـان شأنهم
ما بدا منـه أو خفـى
وفـؤادي ، لحالهـم
يتنـزى (٢) من الاسـى

وهكذا فقد استطاع الشاعر الكبير أن يعطينا صورة رائعة لذلك الحكيم في حواره مع الناس والمجتمع وطباع الناس في حديث أشبه بالحكم منه الى الحديث العادي،وهكذا فان المسرحية في فصولها الاربعة تسير على هذا النحو بشكل يتحف القارىء وينقله الى أجواء مثالية تسعده وتبهجـه وتضعه وجها لوجه مع ماضي عاشه ديوجين فنقده بحكمته وأسلوبه وحياة نعيشها اليوم تتطلب منا الدراسة وبعد النظر للوقوف على الطبيعة الانسانية على مر العصور ٠

وهكذا فاننا نحيل القارىء الى مطالعة هذه المسرحية الضخمة كي يعيش مع شاعرنا الكبير وحكيمنا الشهير ـ ديوجين ـ كي يستخلص منها أشياء وأشياء ٠

حسان الكاتب

---

١ ـ كسف : القطع ٠

٢ ـ تنزى : توثب ٠

قالوا في عدد : المملكة العربية السعودية

أخي الاستاذ مدحة عكاش – رئيس تحرير مجلة الثقافة

اكتب اليك بعد انتهائي من مطالعة عدد الثقافة الخاص بأدب المملكة العربية السعودية وقد امتلكتني نشوتان . نشوة الاطلاع على ادب هؤلاء النخبة من أدباء القطر الشقيق بعمقه وشموله وسموه وأصالته وأبعاده الفكرية والانسانية وتنوع آفاقه وألوانه مما يعمق الثقة بالادب العربي ومستقبله المشرق ، فقد عشت مع الشعر لحظات خلتني فيها أحلق في سماوات رحيبة وأجواء معطرة بعبق الفحول القدامى من شعراء الجاهلية وبلغاء عكاظ والمربد وفصحاء الصحارى الفافيات على المدى بشيحها وخزاماها وصباها وأندائها، ومع النثر هنيهات غرفت منها الصفاء والهناءة والمتعة الفكرية والصحو الوجداني وسعة الافق والغوص الى الاعماق وكأني أجالس عبد الحميد الكاتب وأخلو مع الحافظ واستنشق عبير أبي حيان التوحيدي .

ونشوة الاعتزاز بهذه المجلة « الثقافة » التي دأبت على منهجها العربي الصرف ، وعلى تعميق صلتنا بالحرف المجنح والثقافة الادبية الخالصة ، وعلى ربط القارىء بالوطن العربي ككل من خلال أدبائه وعباقرته وحملة مشاعل النور من أبنائه .

واني لاتوجه اليك بكل رجائي أن تنذر هذه المجلة خالصة لوجه الله وقربانا للادب الاصيل .. وأن تعمل على اخراج الكثير من هذه الاعداد الخاصة ، وأن تفتح صدرها لادباء المشرق والمغرب العربيين ، لتكون مصدرا من مصادر المعرفة ، ومرجعا من مراجع الادب ، ومنهلا يرده الظامئون الى العلم ، ونبعا ثرا من ينابيع الاشراق ، بعد أن اختلط الحابل بالنابل وبعد أن ضاعت المرافيء وطفى الزبد على ما ينفع الناس ..

واني لاشد على يدك مباركا هذه الخطوة الكريمة ومهنئا على هذه المبادرة الطيبة باخراجك هذا العدد الفني باعداده وقصائده ومقالاته كما أحيي أدباءنا في القطر العربي السعودي ، واتمنى لك التوفيق ولمجلتك الازدهار ، ودمت ..

حماه في ١٠-١١-١٩٧٧

سعيد قندقجي

عضو اتحاد الكتاب العرب

ادب المملكة العربية السعودية

أحبب بالحجاز وأدب الحجاز ! وأحبب بالاخ مدحة عكاش الذي يطل علينا ، من حين لآخر ، اطلالة البدر في كبد السماء ، فيتحفنا ، في مجلة « الثقافة » باعداد خاصة وثائقية ، تسهم اسهاما جادا ، في مسيرة الحياة الفكرية ، لادبنا المعاصر . أذكر من هذه الاعداد : ابن زيدون ، وأدب الاردن ، والطبيب الشاعر وجيه البارودي ، وشاعر السيف والقلم خير الدين الزركلي .

أما العدد الخاص بأدب المملكة السعودية فقد وفى واستوفى . ولئن لم يشف غله ، فما يشفي غلتنا هذه القطرات الندية من أدبها الذي طال شوقنا اليه ، واستطال حنيننا الى الافادة منه ، وبعدت الشقة عن الاغتراف من معينه اكثر . أو ليس ادب العربية السعودية هو المنهل العذب الذي أمد أدبنا العربي بنسغ الحياة ، على مدى العصور والازمان ؟. وليس بشاعر من يستلهم شعره من المعلقات ، أو من لم يحفظها عن ظهر قلب ؟ لانها بحق : أبجدية الشعر .

ان أدب العربية السعودية هو القاعدة ، وهو المنطلق لادبنا كله . وكما أن القرآن الكريم حفظ اللغة من عاديات الايام وشرور الكائدين ، فان نثر الحجاز ونجد وشعر الحجاز ونجد أرسى قواعد الادب على النهج الذي سار عليه ، بحيث أن أية مخالفة لهذا النهج ، تعتبر خروجا على الادب الاصيل عندنا .

وأخيرا فان أدب العربية السعودية لا يحتاج الى تعريف ، فهو يعرف نفسه بنفسه . فمزيدا منه وشكرا للاخ مدحة ، عدد الكلمات التي دبجها يراع الكتاب والشعراء في العدد الخاص بأدب المملكة العربية السعودية .

سؤال : متى يتم اللقاء بين أدباء العرب في شتى الاقطار الضادية ، بغير ما وصاية ؟؟!..

مصياف في ١٦-١١-١٩٧٧

● مصطفى الخش



● الشاعر محمد الحريري أحيا أمسية شعرية يوم ١٤-١١-١٩٧٧ في المركز الثقافي الاسباني حضرها لفيف من محبي شعره العذب .

● هندسة « الروح الكوني » للمهندس محمود سلامة -كتاب صدر ب /١٣٠/ صفحة من القطع الكبير وهو الجزء الثاني الذي يضم « ايقاعات في زمن الغربة » وكان الجزء الاول يضم « هندسة الرؤى البشرية » - الكتاب المذكور طبع في مطبعة المجد في دمشق .

● طالب خالد محي الدين البرادعي - وهو شاعر- بتفرغ النقاد في القطر العربي السوري حتى يتخلصوا من فوضى الحياة التي يعيشون فيها وكيلا يشغلوا أنفسهم في الزوايا الصحفية الباهتة أو العمل الاكاديمي جريا وراء لقمة العيش .

● يتولى الكاتب الفلسطيني ناجي غلوش رئاسة تحرير مجلة (الكاتب الفلسطيني) التي سيصدرها اتحاد الكتاب الفلسطينيين والصحفيين مع العام الجديد وهي دورية كل شهرين ، ويتولى الروائي رشاد ابو شاور أمانة التحرير فيها .

● أصدرت وزارة الثقافة والارشاد القومي في سورية العدد الاول من سلسلة مختارات من التراث العربي وهذه السلسلة ستصدر شهريا .

● صدرت في باريس موسوعة صغيرة وجديدة تحت عنوان « تاريخ فرنسا المعاصر » وهي تتألف من ١٨ جزءا تؤرخ فرنسا منذ قيام الثورة الفرنسية عام ١٨٧٨ الى العام ١٩٧٧

● صدرت في نيويورك دائرة معارف مصغرة ، وهي عبارة عن قاموس فكري . يشرح جميع المصطلحات التي تعرض في مجال الفكر الحديث .

● عادت الى الصدور مجلة « السينما والمسرح » في جمهورية مصر العربية بعد توقف استمر نصف عام وأصبحت فصلية يرأس تحريرها السينارست يوسف جوهر . وكان العدد ممتازا وخاصا بالسينما دون المسرح .

● سوزان زوجة الدكتور طه حسين ورفيقة دربه الطويل . تعد كتابا عن رحلة حياتها مع عميد الادب العربي بعنوان (معك) وسوف يصدر باللغتين العربية والفرنسية .

● صدر للكاتب المسرحي سعد الله ونوس عن دار الاداب في بيروت مسرحية « الملك هو الملك » والجدير بالذكر أن المسرحية المذكورة ، يعرضها حاليا المسرح القومي على صالة الحمراء في دمشق من اخراج الفنان أسعد فضة .

● يتابع الروائي السوري نبيل سليمان عطاءه القصصي فيصدر الرواية الرابعة (جرماتي) عن دار الثقافة الجديدة في القاهرة ، ومن المعروف ان الروائي يرصد حركة النقد الحديثة ويساهم فيها بنشاط بارز وقد أصدر كتابا نقديا بالاشتراك مع « بوعلي ياسين » قبل اربع سنوات بعنوان : الادب والايديولوجيا في سورية .

● دراسة نقدية جيدة ستظهر عن وزارة الثقافة السورية للناقد المصري « احمد محمد عطية » بعنوان « البطل الثوري في الرواية العربية » وهو رصيد أزماته في روايات سورية ولبنانية ومصرية .

● رفض الشاعر أنور الجندي السوري عرضا من احدى المؤسسات لنشر ديوانه الشعري وذلك لتحقيق أمنية يرددها على زواره بأنه سيترك للاجيال الطالعة تقويم شعره وذلك بعدم نشر شعره في ديوان قبل موته .

● يساهم الاديب « محمد زهير باشا » في معركة التعريب في الجزائر الشقيق . والجدير بالذكر أن لمحمد زهير في السوق مسرحية (من تحت لتحت) سوف تعرضها اتحاد الصناعات الغذائية على مسرح اتحاد العمال في دمشق خلال مهرجان الفن العمالي الثالث .

● كثير من (أشعار لاجل الصيف) كانت نقشت على محارم حريرية في سوق الحرير في دمشق . والاشعار هذه نشرت في كتاب بمعونة اتحاد الكتاب العرب . ومن الجدير بالذكر أن الشاعر اسماعيل عامود عاكف هذه الايام على كتابة اشعار لدمشق التي احبها وقطنها منذ ربع قرن ونيف . وسوف يصدرها في « كتابات في دفتر دمشق » .

● الدكتورة نوال السعداوي .. تتابع معركة تحرير المرأة فتصدر كتابا جديدا بعنوان « الوجه العاري للمرأة » عن دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت وفيه تناقش المسائل الشرعية الخاصة بالمرأة .

● يتابع وكيل وزارة الثقافة سابقا في جمهورية مصر العربية الكاتب المسرحي (سعد الدين وهبة) كتابة مسرحيات الفصل الواحد وينشرها اسبوعيا في صفحة المسرح بجريدة الاهرام القاهرية كل يوم اثنين .

● نفض الشاعر نزار قباني الغبار والحطام عن دار النشر التي يملكها في بيروت واصدر مجموعة شعرية جديدة بعنوان (بيروت حبيبتي) وهي تجربة الشاعر خلال مأساة لبنان الدامية .

● حذت حذو الشاعر القباني .. القصاصة « غادة السمان » فأسست دارا للنشر باسمها في بيروت وأعادت طبعات جديدة من كتبها .

● يظل ايصال المطبوعات للقارىء هما يوميا للكاتب فليس المهم أن نكتب وانما أن يقرأ الناس مانكتب وتلافيا لهذا الهم أسست مؤسسة التوزيع الرسمية . ووضع كادرها ولكن المشكلة ما تزال قائمة . كما كانت من قبل .